مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية

سلسة أعلام الصحابة المحاربين(1)

شهيد نهاوند النعمان بن مقرن المزني

المتوفى سنة 21هـ

تأليف

الأستاذ، أحمد عادل كمال

سلسة أعلام الصحابة المحاربين

شهيد نهاوند النعمان بن مقرن المزني

مقدمة المركز

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي العربي الكريم أرسله ربه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

تُعدَ فترة الفتوحات الإسلامية من أنصع فترات التاريخ الإسلامي بأكمله حيث ظهرت فيها الشخصية الإسلامية بما اتسمت به من صفات وما تميزت به من قدرات وبما أسهمت به من فتوحات كان لها أبعد الأثر في نشر الإسلام في شتى البقاع ومختلف الأصقاع. ولعل هذا ما دفع المؤرخون قديمًا وحديثًا بتتبع هذه الحقبة التاريخية الناصعة لمعالجتها ودراستها ولذلك تعددت كتاباتهم شرعةً ومنهاجًا واختلفت صحة وأصالة إذ قد ذخرت المكتبة الإسلامية بعدد وافر من المصادر والمراجع التي تناولت هذه الفترة ما بين مجمع لها ومفصل ولا غرو في ذلك.

ومن الجدير بالذكر أن جهود المؤرخين لم تقف في عصر من العصور بالتصنيف والتأليف عن التاريخ الإسلامي بعامة، وعن فترة الفتوحات بخاصة. لذلك فليس من الغريب أن يعّن الأستاذ: أحمد عادل كمال بتناول هذه الحقبة بالدرس والتحقيق أملاً في الوصول إلى النتائج الصحيحة التي تعكس هذه الفترة الزاهرة من تاريخ الإسلام.

وقد يتبادر إلى ذهن القارئ -على حسب ما اعتاد من الكتب التي قدمت إليه في سنين طويلة- أن الكتاب الذي نحن بصدد تقديمه إليه أنه كتاب حكايات وقصص عن رجال تلك الفتوح "كالنعمان بن مقرن" و"طليحة بن خويلد" وغيرهم. لكن بعد أن ينتهي من قراءته يدرك أنه وقف على كتاب يختلف عن غيره في أسلوبه ومنهجه وعن الزوايا التي ارتكز عليها بل وما شُفع به من الخرائط التي تعين على فهم استراتيجية هذه الفتوح العظيمة التي كان لها أبعد الأثر في نشر الإسلام. - كما قلنا - لذلك فقد انصرف المؤلف في كتابته لإبراز هذه الحقبة العظيمة في ثوب فريد في بابه مركزًا على رجال هذه الفتوح ومتتبعًا سيرتهم الذاتية وبين هذا وذاك يحاول عرض التاريخ الحربي الإسلامي بصورة جديدة تستحق الإعجاب فضلاً عن أنها تكتسب طابع الريادة. وللريادة هنا صعوبات وعقباتها كما أن لها الحوافز والمغريات التي تعين على تذليل الصعوبات وتخطى العقبات ومن ثم استحق المؤلف أن يكون رائداً من رواد كُتاب التاريخ الحربي غير مدافع وفارس من فرسان هذه الحلبة غير معارض في كل ما ألف وصنف وفي جميع ما نقل ودون. ومهما يكن من أمر فإن الأستاذ أحمد عادل كمال امتاز بمنهج فريد وأسلوب رائق رشيق. واعتقادنا أن هذا المنهج يتصف بالتجريد والعمق إذ يحاول أن يتخلص من السرد التاريخي لينفذ إلى ما وراءه من فكرة تحكم هذا السرد. كما أنه في ذات الوقت يحاول أن يحيط بجميع جوانب الموضوع وببحث كافة مستوياته وأبعاده. وهو في هذا الصدد يقف عند كل ظاهرة أو حدث يتعلق بها ملاحظاً الصفات المشتركة بين كافة الظواهر والأحداث دون تلك التي تخص بها ظاهرة معينة أو حدث محدد وذلك سعيًا وراء البحث عن الحقيقة المجردة.

كما أن ذلك المنهج يفيد - فيما نظن - في اكتشاف الفراغات التي ما زالت بحاجة إلى تفعيل النقد التاريخي بإذائها وعقد المقارنات معها وفي إعداد المناهج المقننة التي تزداد الحاجة إليها في تلك الآونة.

لذلك فإننا نعيد نشر أعمال الأستاذ أحمد عادل كمال التي تناولت فترة الفتوحات الإسلامية. وقد تجسدت هذه الأعمال في سلسلة أعلام الصحابة المحاربين. وهانحن على موعد لإخراج الجزء الأول من هذه السلسلة لتقدمه إلى القارئ الكريم في طبعة منقحة جديدة تواكب تطورات الطباعة مذودة بالفهارس والخرائط والمراجع التي تعين لمن عنّ له المزيد من المعرفة الرجوع إلى مصادر الكتاب الأصلية.

ويتعرض الجزء الأول من هذه السلسلة إلى شهيد نهاوند النعمان بن مقرن المزني الصحابي الطيب الذي كسب أكبر معركة ضد المجوس وأشدها فانفتحت للإسلام أبواب فارس وما وراءها من أرض المشرق.

والكتاب بعمومه ينقسم إلى أربعة أبواب ينهض الباب الأول منها لمعالجة صحبة النعمان بن مقرن مع رسول الله ﷺ متناولاً فيه إسلامه والغزوات التي شارك فيها بينما ينصرف الباب الثاني بالحديث عن الدور الذي قام به تحت لواء الخليفة الأول أبي بكر الصديق ﷺ مركزًا فيه على حروب الردة.

ويأتي الباب الثالث: فيحدثنا عن النعمان ودوره في الفتوحات الإسلامية في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ﷺ، وأخيراً يتناول الباب الرابع دور الرجل في معركة نهاوند الذي كان يحمل اللواء فيها والتي استشهد فيها ثم يعقب حديثه عن نهاوند وما جرى فيها من انتصار واستشهاد بالتطرق إلى ذكر أخبار أهله وإخوته معتمدا في ذلك على ما ذكرته المصادر والمراجع من أخبار عن آل مقرن ومن ذويهم.

ومن هنا نستطيع أن نقول أن طبيعة موضوع الكتاب وأهميته وعناصر الجدة في المعلومات والحقائق التي أتاحتها لنا مصادره قد أسهمت بسهم وافر في أن يأتي تخطيطه وهيكله على النحو الذي تمثل في الأبواب التي تكون منها.

ومن ثم فالكتاب في مجموعه يعد وثيقة تاريخية مهمة سجلت تاريخ الفتوحات الإسلامية الأمر الذي يجعل منه مرجعًا لا غنى عنه للقارئ المتخصص والقارئ المسلم المثقف.

وأملنا أن يلقى الكتاب ما يستحق من اهتمام وأن يجد فيه القارئ ما ينشد من متعة القراءة ولذة الفائدة.

والله من وراء القصد والهادي إلى سواء السبيل

أحمد جاب بدران

مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية

مقدمة المؤلف

لو أن فلاحًا أميًا فقيرًا مريضا في إحدى قرى أفريقيا رزق بمولود فقيل له إن ذلك المولود سوف يغزو الكواكب ويخضعها لأهل الأرض لما كان ذلك أكثر إثارة للدهشة وأبعد عن التصديق مما لو كان قد قيل لعمرو بن مقرن الأعرابي البدوي من قبيلة مُزَيْنَة -والد النعمان- إن ولده سوف يقود جيشًا لفتح فارس يدحر جيشها الكبير في معركة ضارية بنهاوند حتى يقال عنها "فتح الفتوح" لا تقوم لدولة الفرس العتيدة بعدها قائمة.

لقد أعددنا بحثنا الذي ضمناه كتابنا "الطريق إلى المدائن" عن إستراتيجية "وتكتيكات" الفتح الإسلامي للعراق، ثم بحثنا عن "القادسية" تلك المعركة الكبرى التي انفتح بعدها العراق للغزاة الفاتحين من المسلمين، ثم عن "سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية" لفتوح العراق وفارس. وقد أشرنا في مقدمتنا للطريق إلى المدائن إلى أننا حرصنا لإستكمال البحث على أن نتتبع سيرة كل فرد ورد ذكره من أعلام الفتح فأمدنا هذا بمادة قيمة عن أبطال الفتوح وأعلامها لفتت نظرنا إلى وجوب تجلية هذه الأسماء وتقديمها إلى أبناء جيلنا. وقد ذكرنا أننا ربما وجدنا في المكتبة العربية أشياء عن أبي بكر وعمر وخالد.. ولكننا لا نكاد نجد شيئًا يشبع عن المثنى ابن حارثة الشيباني وجرير بن عبد الله البجلي وعياض بن غنم الفهري والنعمان بن مُقَرِّن المزني وإخوته والأقرع بن حابس التميمي وزهرة ابن الحوية التميمي.. وغيرهم من الصحابة أبطال الفتوح الذين كان لهم وزنهم ويمثلون ثقلاً دافعًا في الحركة الإسلامية إبّان انتشارها.

ولقد ظلت هذه أمنية تراود النفس ويحول دون إنفاذها مشاغل الحياة وضعف الجهد حتى أعاننا الله فاخترنا أن نبدأ هذه السلسلة "أعلام الصحابة المحاربين" بترجمة هذا الصحابي الجليل النعمان بن مقرن وإخوته الذين شاركوه صحبة خير الأنام والأخذ عنه، كما شاركوه جهاده وحروبه ثم ساروا على خطاه بعد أن ستشهد في سبيل الله في صفحات هذا الكتاب حياة ذلك الرجل القائد وما تميز به من صفات، ومعاركه التي خاضها وما تميزت به حروبه التي استقيناها أساسًا من الأبحاث التي أشرنا إليها ثم أتممناها من خارجها بما يلزمها من مصادرها. وللأمانة نقول أننا لم نتوسع هنا مثل توسعنا الذي أتيح لنا في "الطريق إلى المدائن" وفي "القادسية" منعًا للتكرار والتزامًا لحيز معين.

ونحن إذ نقدم النعمان بن مقرّن المزني كقائد جيش في الميدان. قد يتبادر إلى الذهن أن الرجل كان يتصف بالصرامة والشراسة التي تلزم القيادة وتصاحب الحروب. والحقيقة أنه كان رجلاً طيبًا بكل ما تحمله الكلمة من معنى. كان صحابيًا جليلاً من صحابة رسول الله ﷺ، روى عنه الحديث ورواه عنه التابعون الذين أخذوا عنه، وتميزت في أخلاقيات النعمان إقباله على العبادة وحب المؤمنين ودماثة الخلق ولين الجانب حتى مع الأعداء الكفرة من المشركين والمرتدين والمجوس، وحين قاد النعمان كان له مجلس حرب يستشيره ويأخذ بمشورته.

هذا هو النعمان المجاهد المقاتل القائد الشهيد في سبيل الله.

أحمد عادل كمال

الباب الأول

في صحبة الصحابة

مزينـــة:

بنو مزينة(1) -قبيلة النعمان- من قبائل معد بن عدنان، وهم بنو عمرو بن طابخه بن إلياس بن مضر بن نزار بن عدنان، ومزينة أم ولده، وهي بنت كلب بن وبرة ابن تغلب بن حلوان بن إلحاف بن قضاعة، وقيل بنو مزينة هم بنو عثمان بن لاطم بن أد بن طابخة. وسواء كانوا هذا أو ذاك فليس لذلك فارق يذكر على القبيلة ولا على أنسابها.

وقد نزلوا جبال الحجاز ناحية البحر الأحمر غربي المدينة حيث حرّة وادي العقيق وبين المدينة ووادي القرى، ومن ديارهم وقراهم فيحة والروحاء "على ليلتين من المدينة بينهما خمسة وسبعون كيلو مترًا" والعَمْق "قرب المدينة" والفرُع كما كان من جبالهم آرة وميطان من نواحي الربذة وقد كانت قرية غناء من جبال المدينة مقابل الشوران وكان من منازلهم أيضًا مورقان وقدس أوارة وهما جبلان بحذاء سقيا مزينة. ونهبان وهما جبلان بتهامة يقال لهما نهب الأسفل ونهب الأعلى، وجاوروا في منازلهم تلك منازل بطون من بني سليم من بني عدنان أيضًا وبطون أخرى من جهينة وبلى من قضاعة من بني قحطان أخوالهم عن طريق أمهم مزينة. لم تكن لهم حواضر وإنما كانوا من البدو، لقلة الحواضر في شبه جزيرة العرب، وكان طريق قريش من مكة إلى الشام وطريقهم إلى المدينة يمران ببعض منازل بني مزينة.

([1]) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب – معجم القبائل العربية القديمة والحديثة – معجم البلدان محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية أيام العرب في الجاهلية.

وقد حالفت مزينة الأوس وحاربت معها ضد الخزرج يوم بُعاث قبل الهجرة، في حين كانت جهينة وأشجع إلى جانب الخزرج.

وقد كانت مزينة(2) وهذيل وكنانة وعمرو بن قيس عيلان، كانوا يعبدون صنمهم "سُواع" الذي أقاموه في رُهاط من أرض ينبع، وكان سدنته بنو صاهلة من بني هذيل كما كان لمزينة صنم آخر يدعي نُهم(3).

هذه هي مزينة قبيلة النعمان بن مقرن المزني وإخوته.

الرســالة:

اختار الله رسوله محمدا ﷺ من قريش ليبلغ دعوته إلى الناس. ووقفت قريش -ألمع قبائل العرب- من رسالة الإسلام موقف العداوة الضارية والخصومة الشديدة. وتمهلت أكثر قبائل العرب تنتظر نتيجة ذلك الصراع الدائر بين رسول الله ﷺ وصحابته الذين آمنوا به وعزروه ونصروه وبين قريش، وقليل منها من أقبل على الإسلام في وقت مبكر. ومزينة كانت من ذلك القليل بل لعلها كانت أكثر ذلك القليل الذي ظهر فيه الإسلام وانتشر قبل فتح مكة حتى وجدنا ألفا من مزينة عليهم النعمان بن مقرن في جيش رسول الله ﷺ البالغ عدده عشرة آلاف لفتح مكة، وحتى أننا لا نجد بين غزوات الرسول ﷺ

([2]) جمهرة انساب العرب 492.

([3]) جمهرة أنساب العرب 202.

أو السرايا التي بعثها لقتال القبائل أي شيء وجهه إلى مزينة على قربها من المدينة. وعن عبد الرحمن بن عوف(4) عن النبي ﷺ أنه قال: "قريش والأنصار وجهينة ومزينة وأسلم وغفار وأشجع وسليم أوليائي ليس لهم وليّ دون الله ورسوله".

وليس معنى هذا أن مزينة فتحت أبوابها على مصاريعها لرسالة الإسلام بل لقد وجدنا لها أيضًا من المواقف نقيض ذلك. ففي عمرة الحديبية في العام السادس من الهجرة خرج رسول الله ﷺ من المدينة إلى مكة معتمرًا في عدة من أصحابه بلغت على أرجح روايات ما بين ألف وثلاثمائة إلى ألف وخمسمائة. ومر في طريقه بالأعراب من بني بكر ومزينة وجهينة فاستنفرهم للخروج معه فأبطأوا عليه وتخلفوا عنه(5).

وفي القرآن الكريم:

﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ ﴾[الفتح:11-12]

(4) المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية 143/4.

(5) إمتاع الأسماع 276.

قال مجاهد وابن عباس يعني أعراب غفار ومزينة وجهينة وأسلم وأشجع والديل وهم الأعراب الذين كانوا حول المدينة تخلفوا عن رسول الله ﷺ حين أراد السفر إلى مكة عام الفتح بعد أن كان استنفرهم للخروج معه حذرًا من قريش وأحرم بعمرة، وساق معه الهدى ليعلم الناس أنه لا يريد حربًا فتثاقلوا عنه واعتلوا بالشغل(6).

ومرة أخرى في القرآن الكريم:

﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ ﴾[الحجرات: 14].

قال القرطبي(7): نزلت في أعراب من بني أسد بن خزيمة ثم نقل قول السدي أنها نزلت في الأعراب المذكورين في سورة الفتح أعراب مزينة وجهينة وأسلم وغفار والديل وأشجع. قالوا آمنا ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم فلما استنفروا إلى المدينة تخلفوا فنزلت الآية. والمعنى ولكن قولوا أسلمنا أي استسلمنا خوف القتل والسبي وهذه صفة المنافقين لأنهم أسلموا في ظاهر إيمانهم ولم تؤمن قلوبهم وحقيقة الإيمان التصديق بالقلب وأما الإسلام فقبول ما أتى به النبي ﷺ في الظاهر وذلك يحقن الدم.

---

(6) القرطبي 268/16.

(7) القرطبي 348/16.

أسلم بجير بن زهير المزني سنة 7هـ فلامه أخوه كعب بن زهير الشاعر المشهور وهجا النبي ﷺ فأهدر النبي دمه، فجاء كعب مستأمنًا بعد فتح الطائف ومدح الرسول بقصيدته المعروفة "بانت سعاد" فوهبه النبي ﷺ بردته وبذلك اشتهرت القصيدة بالبردة.

والمرأة التي أرسلها حاطب بن أبي بلتعة بخطابه إلى قريش يحذرها من فتح مكة كانت امرأة مغنية من مزينة ارتدت عن الإسلام وراحت تتغنى بهجاء رسول الله ﷺ(8).

فكانت مزينة وتلك القبائل ممن يعنيهم قول الله تبارك وتعالى:

﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾[التوبة:120-121]

---

(8) إمتاع الأسماع 363.

إسـلامــــه:

لم نقف فيما رجعنا إليه على مناسبة إسلام النعمان بن مقرن وإخوته، وذكر ابن سعد في طبقاته أنهم أسلموا في شهر رجب من العام الخامس للهجرة. الثابت الذي لم نجد له خلافًا أن أول مشاهده كانت غزوة الخندق في شهر شوال من العام الرابع(9) لهجرة الرسول ﷺ. ولما كانت آخر معركة كبرى قبل الخندق هي غزوة أحد وقد وقعت في منتصف شهر شوال من العام الثالث ولم يشهدها النعمان، من ذلك نستطيع القول بأن إسلام بني مقرن كان بين شوال العام الثالث وشوال العام الرابع.

وحين أسلم النعمان وإخوته كان إسلامهم ضمن جمع غفير من قبيلته فقد روى عن النعمان(10) أنه قال: "قدمنا على رسول الله ﷺ في أربعمائة راكب من مزينة" ومع ذلك يبدو لنا أن النعمان لم يكن من أوائل بني مزينة إسلامًا وأن من قبيلته من سبقه إلى الإسلام، فقد جاء في ترجمة عمرو بن عوف المزني أنه كان قديم الإسلام، وقد روى البخاري عنه(11) أنه قال: "كنا مع النبي ﷺ حين قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس سبعة عشر شهرًا. ومعنى هذا أن هجرة الرسول من مكة إلى المدينة حدثت وفي بني مزينة مسلمون وهو شيء ظاهر الندرة بين الأعراب.

---

(9) البخاري 26/16 برقم 3836 باب الغزوات. ولقد ذهب أكثر رواة التاريخ إلى أنها كانت في شوال العام الخامس ولكننا آثرنا الأخذ برواية البخاري باعتباره أوثق.

(10) أسد الغابة 5261.

(11) الاستيعاب 509/2.

وكانت هجرة النعمان إلى المدينة في سبعة إخوة له. وقد كان له من الإخوة أكثر من ذلك، وفي فتح الحيرة عام 12هـ كان النعمان أحد إخوة عشرة، وقد استطعنا أن نحصى ممن ورد له ذكر من ذلك البيت الكريم ثلاثة عشر أسمًا هم: النعمان ونعيم وسويد وعبد الله وعبد الرحمن(12) ومعقل وسنان وعقيل وضرار ومرضى وسعيد وعمرو، ومن الجائز أن يكون عمرو هذا هو عمرو بن النعمان بن مقرن وليس أخاه وأنه حين كان النعمان يكنى أبا عمرو وكان له ولد يدعى عمرو ولكننا لا نستطيع أن نقطع بأن عمرو بن مقرن هو عمرو بن النعمان بن مقرن. وهناك ذكر لسواد بن مقرن، ولكن ابن حجر العسقلاني يذهب إلى أنه من المحتمل أن يكون سواد وسويد شخص واحد. ولكن ما دمنا نجد في أسماء الإخوة الاسم وما يشبه تصغيره مثل: النعمان ونعيم ومعقل وعقيل، فإنه يكون من الجائز أيضًا أن يكون هناك أخَوان سواد وسويد، ومن زاوية أخرى فإننا لا نكاد نجد في الأخبار شيئًا عن سواد بما قد يؤيد ما ذهب إليه ابن حجر. ومن روايات وردت نستطيع القول بأن النعمان وسويد وعقيل كانوا من هؤلاء السبعة الذين هاجروا إلى رسول الله ﷺ في المدينة، وقد كان هؤلاء ومعهم نعيم من أكثر الإخوة في بني مقرن ذكرًا في التاريخ.

(12) يقال كان أسمه عبد عمرو فغيره رسول الله ﷺ إلى عبد الرحمن – الإصابة 5211.

وقد أخرج صاحب الاستيعاب عن هلال بن يساف أنه قال: "كنا نبيع البر في دار سويد بن مقرن، فخرجت جارية فقالت لرجل منا كلمة فجعل الشيخ فلطمها فقال سويد بن مقرن: أعجز عليك(13) إلا حر(14) وجهها، لقد رأيتني سابع سبعة من إخوتي مع النبي ﷺ ما لنا خادم إلا واحدة فلطمها أحدنا فأمرنا رسول الله ﷺ فأعتقناها".

لقد بحثنا عن أعمار بني مقرن في أي مرحلة من مراحل سيرتهم فلم نهتد إلى شيء. ومن القصة السالفة نجد أن الإخوة السبعة كانوا يسكنون معًا، وما كان لهم جميعًا خادم إلا جارية واحدة، أفلا يعني هذا عدم زواجهم جميعًا حينذاك وهذا يقودنا بحكم بيئتهم إلى صغر سنهم، فلربما كان النعمان بين العشرين والخامسة والعشرين حينذاك وهو أكبر إخوته، وأن ذلك كان أثناء صحبتهم لرسول الله ﷺ التي استمرت نحوا من سبع سنوات هي تقريبًا بين العام الرابع والعام العاشر الهجري.

والنعمان وإخوته جميعًا كانوا من جملة الصحابة ومن وجوه مزينة. يقول يوسف بن عبد الله في الاستيعاب(15).. "وقد كان عمر بن الخطاب يعرف للنعمان ولنعيم موضعهما". وكذلك كان أبو بكر يعرف لهما أقدارهما، وهنا نضيف إليهما عبد الله.

---

(13) اقسم عليك.

(14) أي حررتها من رقها.

(15) الاستيعاب 528/3.

ومن وقائع التاريخ التي سوف نعرض لها نستطيع أن نضيف إليهم سويدًا أيضًا. ونذهب إلى أن الإخوة بني مقرن جميعًا كانوا رجالاً ذوى أقدار. قال عبد الله بن مسعود: "إن للإيمان بيوتًا وللنفاق بيوتًا، وإن بيت بني مقرن من بيوت الإيمان".

ذكرنا أن بني مزينة كانوا أعرابًا من أهل البادية ولم يكونوا عربًا من أهل الحضر. وحين كان القرآن الكريم يتناول الأعراب بمثل قوله(16):

﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٩٧ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٩٨ ﴾[التوبة: 97-98]

﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ۝١٠١ ﴾[التوبة: 101]

(16) سورة التوبة 97-98.

من بين هذا الذي يقرره القرآن الكريم عن الأعراب نجد أن النعمان بن مقرن وإخوته هم الذين نزل فيهم القرآن الكريم بقوله تعالى:

﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾ ﴾[التوبة: 99] .

ولا يعلم حي من العرب كان لهم مجلس بمدينة الرسول ﷺ غير مزينة. وعلى رواية راجحة أن الإخوة بني مقرن هم البكاءون في(17) غزوة تبوك الذين نزل فيهم قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾(التوبة:91-92]

(17) إمتاع الأسماع 448.

ومن بين هؤلاء البكائين أيضًا عمرو بن عوف المزني(18) وعبد الله بن مغفل المزني(19).

قال القرطبي: روى أن الآية نزلت في عرباض بن سارية وقيل نزلت في عائذ بن عمرو وقيل نزلت في بني مقرن -وعلى هذا جمهور المفسرين- وكانوا سبعة إخوة كلهم صحبوا النبي ﷺ. وليس في الصحابة سبعة إخوة غيرهم، وهم النعمان ومعقل وعقيل وسويد وسنان وسابع لم يسم(20). بنو مقرن المزنيون سبعة إخوة هاجروا وصحبوا رسول الله ﷺ ولم يشاركهم -فيما ذكره ابن عبد البر وجماعة- في هذه المكرمة غيرهم. وقد قيل أنهم شهدوا الخندق كلهم. وقيل نزلت في سبعة نفر من شتى، وهم البكاءون أتوا رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ليحملهم فلم يجد ما يحملهم عليه، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنًا ألا يجدوا ما ينفقون، فسموا البكائين، وهم سالم بن عمير من بني عمرو بن عوف وعلبة بن زيد أخو بني حارثة وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب من بني مازن بن النجار وعمرو بن الحمام من بني سلمة وعبد الله بن معقل المزني

(18) أسد الغابة 3994.

(19) أسد الغابة 3197.

(20) لم يذكر القرطبي سوى خمسة والذي في القاموس (مادة قرن) وعبد الله وعبد الرحمن وعقيل ومعقل والنعمان وسويد وسنان، أولاد مقرن كمحدث صحابيون.

وقيل بل هو عبد الله بن عمرو المزني وهرمي بن عبد الله أخو بني واقف وعرباض بن سارية الفزاري.. هكذا أسماهم أبو عمر في كتاب الدرر(21) له.. وقال الحسن أيضًا وبكر بن عبد الله، نزلت في عبد الله بن معقل المزني..

ولقد لقي اثنان منهم يامين بن عمير بن كعب فقال: ما يبكيكما؟ قالا: جئنا إلى رسول الله ﷺ ليحملنا فلم نجد عنده ما يحملنا عليه، وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج ونحن نكره أن تفوفتنا غزوة مع رسول الله ﷺ فأعطاهما ناضحًا له (بعيراً يحمل عليه الماء) فارتحلاه وزود كل واحد صاعين من تمر. وحمل العباس بن عبد المطلب منهم رجلين. وحمل عثمان بن عفان منهم ثلاثة(22).

ولقد اشتهر النعمان بأنه ابن مقرن، ولكن مقرنًا كان جده، أما نسبه فهو(23) النعمان بن عمرو بن مقرن بن عائذ بن ميجا بن هجير بن نصر بن جبشية بن كعب بن عبد ثور بن هذمة بن لاطم بن عثمان بن عمرو بن أد بن طابخه. وولد عثمان بن عمرو هم بنو مزينة نسبوا إلى أمهم مزينة بنت كلب بن وبرة. والنعمان يكنى أبا عمرو.

([21]) القرطبي تفسير سورة التوبة 91-92.

([22]) إمتاع الأسماع 448.

([23]) يقول ابن حزم: هم بنو مقرن بن عامر بن صبح بن هجير بن نصر بن حبشية.. إلخ. "جمهرة أنساب العرب 202".

وإذا كنا لم نقف على مناسبة وكيفية إسلام النعمان وإخوته فقد نستطيع الاستعاضة عن ذلك بنظرة إلى الظروف العامة التي تم فيها اعتناقهم لدين الله ففي شوال من العام الثالث للهجرة وقعت غزوة أحد وفيها ثأر المشركون من المسلمين ثأرًا ذريعًا ليوم بدر كان له أثره على هيبة المسلمين بين قبائل العرب وبين يهود المدينة. وفي العام الرابع قدم على رسول الله ﷺ رهط من أعراب عضل والقارة وزعموا أن فيهم إسلامًا وطلبوا منه أن يرسل معهم نفرًا من أصحابه يفقهونهم في الدين ويقرأون عليهم القرآن ويعلمونهم شرائع الإسلام. فبعث معهم ستة من أصحابه -وفي رواية عشرة- فخرجوا حتى إذا كانوا بماء الرجيع غدروا بهم فقتلوا بعضًا منهم وباعوا اثنين بقيا على قيد الحياة إلى كفار مكة فقتلوهما ثأرًا من المسلمين. وتكرر هذا الحادث مرة أخرى إذ قدم عامر بن مالك سيد بني عامر بن صعصعة إلى المدينة يطلب دعاة إلى نجد، فبعث النبي ﷺ معه أربعين من خيار صحابته، فلما كانوا عند بئر معونة بين منازل بني سليم ومنازل عامر بن صعصعة أحاطت بهم بنو سليم فقاتلهم المسلمون دفاعًا عن أنفسهم حتى قتلوا عن آخرهم إلا واحد ترك وبه رمق.

وقتل عمرو بن أمية الضمري وكان مسلمًا رجلين من بني عامر معهما عهد من رسول الله ﷺ وهو يرى أنه أصاب بهما ثأرًا من بني عامر بما أصابوا من أصحاب بئر معونة، فكان على رسول الله أن يؤدي ديتهما، فذهب في صفر من العام الرابع للهجرة مع نفر من المهاجرين والأنصار إلى يهود بني النضير يستعينهم في دية ذينك القتيلين. وأظهر اليهود القبول ورسول الله يجلس إلى جدار من جدرانهم،

ولكنهم تآمروا عليه ليقتلوه بأن يلقوا عليه صخرة من أعلى الجدار، وعلم رسول الله ﷺ بما كان، فقام عن مكانه راجعا إلى المدينة وتهيأ لحربهم وسار بالمسلمين إليهم فتحصنوا منه في الحصون فحاصرهم خمسة عشر يومًا ثم نزلوا على صلحه على أن يحقن دماءهم وأن يجلوا عن ديارهم إلى خيبر وإلى أذرعات بالشام وجعل لكل ثلاثة منهم بعيراً أو سقاء وتركت أموالهم لرسول الله ﷺ.

واشتدت نقمة اليهود على رسول الله ﷺ فخرج نفر من يهود بني النضير فحزبوا الأحزاب من قريش وغطفان من قيس عيلان ببطونها من فزارة ومرة وأشجع ووعدهم أنهم سيكونون معهم عليه وجمعوا لذلك جيشًا تعداده عشرة آلاف يريدون غزو المسلمين في عقر دارهم بالمدينة فكانت غزوة الأحزاب.

من ذلك العرض السريع لأحداث تلك الفترة بين شوال العام الثالث وشوال العام الرابع يتبين لنا أن مركز المسلمين بصفة عامة لم يكن بالذي يشجع أصحاب المطامع على الدخول في الإسلام، إنها فترة امتلأت بالتآمر والغدر من جانب اليهود ومن جانب القبائل العربية وبالحرب السافرة الشعواء من جانب قريش ومن تحزب إليها. في ظل تلك الظروف والأحداث أقبل النعمان بن مقرن وإخوته على الإسلام، لم يكن من سكان المدينة أصلا فكان في غنى عن أن يحشر نفسه في مثل تلك المخاطر المهلكة، فلا غرو أن دلنا إسلام النعمان وإخوته في تلك الفترة بالذات ومن خلال أحداث كتلك عن صدق إيمانه بالله وإقباله الحق على دين الإسلام.

غزو الخندق:

ولنبدأ مع النعمان المجاهد في سبيل الله من حيث بدأ جهاده.. من غزوة الخندق وتعرف أيضًا بغزوة الأحزاب.

شهر شوال من العام الرابع من الهجرة صادف أوله السادس والعشرين من شهر فبراير 627م. الجو بارد قارس والريح صر تصفر، والدفء في البيوت إلى جوار الأزواج والأبناء فاكهة الشتاء مرغوب مطلوب. وجيش المسلمين ثلاثة آلاف هم كل الصالحين للقتال من الرجال. كذلك كانوا، فقد كان تعداد جيشهم هو تعدادهم أنفسهم إذا استثنينا النساء والشيوخ والأطفال ومن لا يصلح لحمل السلاح.

ولو كان الهم هم الآلاف الثلاثة لهان الأمر، ولكن الواجب أكبر والعبء أثقل من ذلك بكثير، إنه عبء الرسالة التي يذودون عنها حتى يبلغوها للناس كافة، ثم عبء نسائهم وأطفالهم الذين عليهم أن يدفعوا عنهم ذلك العدوان الرهيب الذي اجتمع له جمع لم يسبق اجتماع مثله في حرب في جزيرة العرب. إنهم عشرة آلاف مقاتل من قريش الكافرة الحانقة ومن حليفتها غطفان الطامعة. هذا بخلاف اليهود المتآمرين الرابضين في حصونهم عند أطراف المدينة يتربصون الفرصة للانتقاض والانقضاض وهذه فرصتهم تلوح لهم. ولو قدر لهذا المخطط أن يتم لأضحى رجال المسلمين ذبائح في الطرقات وصبيانهم ونساءهم سبايا يبعن في الأسواق. هذا الحشد كله حركه يهود بني النضير الذين أجلاهم رسول الله بعد نقضهم عهده ومحاولتهم قتله، وقد وعد بنو النضير الأحزاب بمعاونة يهودية من بني قريظة.

مؤامرة يهودية:

بعد جلاء النضير خرج نفر منهم هم سلام بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق مع نفر من بني وائل حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم إلى حرب رسول الله(24) وأعطوهم هذا الوعد. "إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله".

فاتفقوا واتعدوا. وخرج الوفد اليهودي من مكة إلى نجد حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان فدعوهم إلى مثل ذلك وأخبروهم أنهم سيكونون معهم على رسول الله وأن قريشًا قد تابعوهم على ذلك فأجابتهم غطفان كذلك. كانت هذه هي المعركة الوحيدة التي انضمت فيها إلى قريش قبائل أخرى لقتال المسلمين استطاع اليهود أن يجمعوها معها في حلف هدفه إطفاء نور الله.

وخرجت قريش من مكة يقودها أبو سفيان بن حرب وخرجت بطون غطفان من منازلها، بنو فزارة يقودهم عيينة بن حصن، وبنو مرة يقودهم الحارث بن عوف، وبنو أشجع يقودهم مسعود بن رخيلة، ونما علم ذلك إلى رسول الله ﷺ والمسلمين بالمدينة فأصابهم قلق بالغ. وشاور رسول الله ﷺ أصحابه أيخرج من المدينة لقتال الأحزاب

([24]) الطبري 565/2 عن ابن حميد عن سلمة عن محمد بن اسحق عن يزيد بن رومان مولى آل الزبير عن عروة بن الزبير. ومن لا يتهم عن عبيد الله بن كعب بن مالك وعن الزهري عن عاصم بن عمر بن قتادة. وعن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم. وعن محمد بن كعب القرظى وعن غيرهم..

أم يتحصن فيها أم يكون قريبًا منها ويجعل الجبل وراء ظهره. كانت هذه الغزوة أول مشاهد سلمان الفارسي وهو يومئذ حر قد تحرر من رقه، فبادر يشير على رسول الله ﷺ بحفر الخندق في الجانب المكشوف من المدينة.. قال: "يا رسول الله إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا" وكانت آلام غزوة أحد ما زالت ماثلة فآثر المسلمون الثبات في المدينة على القتال خارجها وقبل النبي ﷺ الفكرة وشرع في العمل فقد كانوا في سباق مع الزمن والأحزاب تسعى على الطريق.

وبدأ المنافقون يتسللون متذرعين بشتى المعاذير وبغير علم من رسول الله ﷺ ولا إذن منه فيرجعون إلى أهاليهم في ديارهم تاركين الميدان.. كانت الأزمة تمحيصًا للإيمان، فكان الرجل من المسلمين إذا نابته نائبة من الحاجة التي لا بد منها استأذن النبي في اللحوق بحاجته فيأذن له فإذا قضى حاجته رجع إلى مكانه من عمله رغبة في الخير وابتغاء ثواب الله واحتسابًا له، أولئك الذين أنزل الله فيهم:

﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُۚ ﴾[النور: 62] .

الدفاع عن المدينة:

بدأ العمل في حفر الخندق. فركب رسول الله ﷺ فرسًا له ومعه عدد من المهاجرين والأنصار وارتاد المكان فاختار موضعًا ينزله وضرب فيه قبته من آدم وهو على جبل ذباب في الموضع الذي أقيم عليه بعد ذلك مسجد(25) ذباب وجعل جبل سلع خلف ظهره وخط على الأرض مكان الخندق فكان أمامه من أجم الشيخين طرف بني حارثة حتى بلغ المذاد (أو المراد). ثم قطّعه إلى قطاعات كل قطاع أربعين ذراعًا لعشرة من المسلمين ليحفروه. ومن حيث كان المسلمون ثلاثة آلاف نستطيع القول بأن الخندق بلغ اثني عشر ألف ذراع طولاً أي حوالي ستة كيلو مترات وأخبر النبي ﷺ أصحابه بدنو عدوهم وعسكر بهم في سفح سلع وأراد أن ينشطهم فعمل بيديه في حفر الخندق وحمل التراب في المقاطف فتبادر المسلمون في العمل وقد استعاروا من يهود بن قريظة كثيراً من أدوات الحفر من الفؤوس والجواريف والمقاطف. ووزع النبي العمل على المسلمين فوكل بكل جانب من الخندق قومًا يحفرونه. وكان الشباب ينقلون التراب. ويخرج المهاجرون والأنصار بقفف التراب على رؤوسهم ويرجعون بها وقد ملأوها حجارة من جبل سلع للرمي بها وهي يومئذ أعظم سلاحهم. وكان النبي يحمل معهم التراب وهو يقول:

([25]) مسجد الفتح يقع شمال المدينة على قطعة من جبل سلع وهو يقع حيث كان الخندق. وعلى مقربة من مسجد الفتح يقع مسجد ذباب على سفح جبل ذباب فيما بين سلع وأحد، وكل ما يؤثر عن هذا المسجد أن رسول الله ضرب قبة له في موضعه على جبل ذباب في غزوة الخندق – في منزل الوحي – محمد حسين هيكل 511.

هذا الجمال لا جمال خيبر هذا أبر ربنا وأطهر

والمسلمون يترنمون معه بالرجز. وكان الغلمان الذين لم يبلغوا يعملون معه ثم أمرهم فرجعوا إلى أهليهم(26).

أين كان صاحبنا النعمان من ذلك؟ تقول الروايات إن المسلمين تنافسوا في سلمان الفارسي فقد كان رجلاً قويًا جسيمًا عارفًا بحفر الخنادق فكل يريده معه. فقال المهاجرون: سلمان منا. وقالت الأنصار: سلمان منا. فقال رسول الله ﷺ: "سلمان منا أهل البيت". ولقد كان سلمان يعمل عمل عشرة رجال، وجعل له النبي خمسة أذرع طولاً بعمق خمسة أذرع ففرغها وحده وهو يقول: "اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة". قال عمرو بن عوف المزني: "فكنت أنا وسلمان وحذيفة بن اليمان والنعمان بن مقرن المزني وستة من الأنصار في أربعين ذراعًا. ولعلنا نفهم من هذه الرواية أن النعمان كان معدودًا في الأنصار في المدينة.

ويمضى عمرو بن عوف المزني زميل النعمان في حفر الخندق وابن قبيلته – في روايته يقول: "... فحفرنا تحت ذوباب (جبل ذوباب أو ذباب) حتى بلغنا الذري فأخرج الله عز وجل من بطن الخندق صخرة بيضاء مروة فكسرت حديدنا وشقت علينا، فقلنا: يا سلمان ارق إلى رسول الله فأخبره خبر هذه الصخرة، فإما أن نعدل عنها فإن المعدل قريب وإما أن يأمرنا فيها بأمره فإنا لا نحب أن نجاوز خطه. فرقى سلمان حتى أتى رسول الله ﷺ

(26) إمتاع الأسماع 224.

وهو ضارب عليه قبة تركية (خيمة) فقال: يا رسول الله بأبينا أنت وأمنا خرجت صخرة بيضاء من الخندق مردة فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما نحيك فيها قليلاً ولا كثيراً فمرنا فيها بأمرك فإنا لا نحب أن نجاوز خطك.

"فهبط رسول الله ﷺ مع سلمان في الخندق ورقينا نحن التسعة على شفة الخندق فأخذ رسول الله ﷺ المعول من سلمان فضرب الصخرة ضربة صدعها وبرقت منها برقة أضاء منها ما بين لأبتيها (يعني لأبتي المدينة - جانباها) حتى لكأن مصباحًا في جوف بيت مظلم، فكبر رسول الله ﷺ تكبير فتح وكبر المسلمون، ثم ضربها رسول الله ﷺ الثانية فصدعها وبرق منها برقة أضاء ما بين لأبتيها حتى لكأن مصباحًا في جوف بيت مظلم، فكبر رسول الله ﷺ تكبير فتح وكبر المسلمون. ثم ضربها رسول الله ﷺ الثالثة فكسرها وبرق منها برقة أضاء ما بين لأبتيها حتى لكأن مصباحًا في جوف بيت مظلم، فكبر رسول الله ﷺ تكبير فتح وكبر المسلمون. ثم أخذ بيده سلمان فرقى. فقال سلمان بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد رأيت شيئًا ما رأيته قط. فالتفت رسول الله ﷺ إلى القوم فقال: هل رأيتم ما يقول سلمان؟ قالوا: نعم يا رسول الله بأبينا أنت وأمنا قد رأيناك تضرب فيخرج برق كالموج، فرأيناك تكبر ولا نرى شيئًا غير ذلك. قال: "صدقتم". ضربت ضربتي الأولى فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب،

فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها، ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور الحمر من أرض الروم كأنها أنياب كلاب، فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها. ثم ضربت ضربتي الثالثة فبرق منها الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب. فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها. فأبشروا، يبلغهم النصر، وابشروا، يبلغهم النصر، وأبشروا، يبلغهم النصر..".

ويروى المقريزي أن رسول الله ﷺ جعل يصف لسلمان قصر كسرى الأبيض بالمدائن، فقال صدقت، والذي بعثك بالحق إن هذه لصفته وأشهد أنك لرسول الله. فقال رسول الله ﷺ هذه فتوح يفتحها الله عليكم بعدي. يا سلمان لتفتحن الشام ويهرب هرقل إلى أقصى مملكته وتظهرون على الشام ولا ينازعكم أحد. ولتفتحن اليمن، ولتفتحن هذا المشرق ويقتل كسرى فلا يكون كسرى بعده.

ويكمل عمرو بن عوف المزني روايته "... فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله، موعد صادق بار وعدنا النصر بعد الحصر. فطلعت الأحزاب فقال المؤمنون: "هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانًا وتسليمًا". وقال المنافقون: ألا تعجبون يحدثكم ويمنيكم ويعدكم الباطل، يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم تحفرون الخندق ولا تستطيعون أن تبرزوا(27). ونزل القرآن: "وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورًا".

([27]) الطبري 567/2 عن محمد بن بشار عن محمد بن خالد عن عثمة عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده.

حصار المدينة:

وفرغ المسلمون من حفر الخندق في ستة أيام، فلما كمل صارت المدينة كالحصن ورفع المسلمون(28) النساء والصبيان في الآطام، وجعل لواء المهاجرين مع زيد بن حارثة، ولواء الأنصار مع سعد بن عبادة، وكان المسلمون ثلاثة آلاف. وأقبلت قريش حتى نزلت بمجمع الأسيال من دومة بين الجرف والغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم (أهل الجبال الواقعة إلى الجنوب من مكة) ومن تابعهم من كنانة وأهل تهامة وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نقمي إلى جانب أحد.

وكان حيي بن أخطب مع الأحزاب فخرج حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم، وما زال به حتى نقض عهد بني قريظة مع رسول الله ﷺ وظهر النفاق في صفوف المسلمين واشتد البلاء على الصادقين منهم. وحاول بعض فرسان قريش اقتحام الخندق ولكن المسلمين صدوهم. حتى أسلم نعيم بن مسعود الأشجعي من بني غطفان الذين جاءوا مع الأحزاب، فقام بدوره المشهور المعروف في السيرة في الوقيعة بين يهود بني قريظة وبين الأحزاب. وفت ذلك في عزائم الأحزاب وقد اشتدت بهم الريح فخلعت خيامهم وقلبت قدورهم فانصرفوا راجعين من حيث أتوا تلك كانت أول مشاهد النعمان بن مقرن المزني وإخوته مع رسول الله ﷺ.

---

(28) الطبري 570/2 عن ابن حميد عن سلمة عن ابن اسحق.

بعد ذلك غزا رسول الله ﷺ بني قريظة جزاء لهم على خيانتهم ونقضهم عهدهم فحاصرهم حتى استنزلهم من حصونهم وحكم فيهم سعد بن معاذ فحكم أن يقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذراري والنساء.

كان فتح بني قريظة في ذي القعدة أو في صدر ذي الحجة ثم انصرف النبي ﷺ فأقام بالمدينة ذا الحجة والأشهر بعدها والأخوة المزنيون يشهدون معه هذه الأحداث.

حتى فتح مكة:

العام السادس:

وجاءت سنة ست من الهجرة وبنو مقرن مقيمون بالمدينة مع رسول الله ﷺ والمسلمين. وفي هذا العام بعث رسول الله بعض السرايا ووقعت بعض الغزوات والأحداث على ما هو معروف في السيرة. وفيها خرج رسول الله ﷺ معتمرًا العمرة التي صده المشركون فيها عن البيت الحرام وهي المشهورة بقصة الحديبية. وقد استنفر العرب ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب من بني بكر ومزينة وجهينة أن يخرجوا معه وهو يخشى من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت، فأبطأ عليه كثير منهم وتشاغلوا بأبنائهم وأموالهم.

ليس بين أيدينا ما يفيدنا عن مكان النعمان أو أحد من إخوته من تلك السرايا والغزوات. ولكننا نستطيع دون تكلف أن نذهب مما مر بنا عن عمرة الرسول والمسلمين أن بني مقرن من مزينة لابد كانوا ممن صحبه ﷺ في عمرته. وأيًا ما كان فإننا نستطيع القول أيضًا بأن بني مقرن سواء كانوا أو أحد منهم قد شارك في تلك الأحداث أو لم يكن، فمما لا شك فيه أنهم لم يكونوا بمعزل عنها وأنهم بما رأوا من تخطيط الرسول وتصرفه وبما نزل به الوحي في تلك المناسبات قد أضيفت إلى خبرتهم في الحرب وفي السياسة وفي الحكم والتشريع أشياء وأشياء.

العام السابع:

ودخلت سنة سبع من الهجرة. وخرج رسول الله ﷺ في شهر محرم إلى خيبر لفتح حصونها الواقعة شمالي المدينة على طريق الشام وتصفية بقايا اليهودية في شبه الجزيرة. فافتتح حصن ناعم ثم القموص حصن ابن أبي الحقيق(29) ثم حصن الصعب بن معاذ ثم حصن الوطيح وحصن السلالم.. مجموعة من الحصون القوية وتمّ فتح خيبر في صفر(30). وعلى أثر ذلك استسلمت فدك -مستعمرة يهودية أخرى إلى الشمال من خيبر- وعبأ بدون قتال.

([29]) الطبري 9/3.

([30]) الطبري 17/3 عن ابن اسحق.

وفي هذه السنة بعث رسول الله ﷺ عدة بعوث وسرايا. ثم خرج في ذي القعدة معتمرًا عمرة القضاء مكان عمرته التي صدوه عنها من عامه السابق، وخرج معه المسلمون الذين كانوا معه في عمرته تلك ثم انصرفوا إلى المدينة في ذي الحجة. واستنادًا إلى ما ذكرنا في خبر العمرة نذهب إلى أن النعمان وإخوته كانوا مع رسول الله ﷺ في عمرة القضاء هذه.

العام الثامن:

انقضى العام السابع وجاء الثامن. وكسابقيه بعث النبي ﷺ عدة سرايا.

فتح مكة:

قريش تنقض عهدها:

أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد بعث مؤتة جمادي الآخرة ورجب حتى نقضت قريش عهدها معه. فقد كان مما تعاهد عليه معهم بصلح الحديبية أنه "من أحب أن يدخل في عهد رسول الله ﷺ وعقده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه".

فدخلت بنو بكر بن عبد مناف في عهد قريش ودخلت خزاعة في عقد رسول الله ﷺ فلما كانت تلك الهدنة اغتنمها بنو الديل من بني بكر ليثأروا من بني خزاعة لثارات من عدوات كانت بينهما(31).

الرسول يقرر فتح مكة:

وبدأ رسول الله ﷺ يتجهز سرًا وأغلق المدينة. فكان عمر بن الخطاب يمر بطرق المدينة يطوف عليها ويقول: "لا تدعوا أحدًا يمر بكم تنكرونه إلا رددتموه"، وكان أهل تلك الطرق على الإسلام إلا من سلك إلى مكة فإنه كان يحتفظ به ويسأل عنه.

ولم يخبر النبي ﷺ بوجهته سوى أبا بكر وأمره أن يكتمه، وأمر الناس بالتجهز للمسير.

فلما اعتزم المسير وعلم الناس بذلك كتب حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش يخبرهم الخبر حتى يكون له عندهم يد وأعطى الكتاب إلى امرأة من مزينة من أهل العرج (على طريق مكة) مولاة لعمرو بن صيفي بن هاشم بن عبد مناف مقابل أجر اختلف الرواة فيه بين دينار وعشرة. وسارت المرأة تتخفى وتتجنب الطرق. وعلم رسول الله ﷺ بخبرها فأرسل في أثرها عليا والزبير حتى أدركاها واسترجعا منها الكتاب. ومضت المرأة المزنية إلى مكة وكانت مغنية فراحت تتغنى بهجاء الرسول وقد ارتدت عن الإسلام.

([31]) الطبري 43/3 عن ابن حميد عن سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان ابن الحكم وغيره.

جيش الفتح:

وأرسل رسول الله ﷺ إلى أهل البادية ومن حول المدينة من الأعراب المسلمين يقول: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة". فقدمت أسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع إلى المدينة وأتت سليم إلى قديد وعسكر النبي ﷺ ببئر أبي عنية وعقد الألوية والرايات لجيش بلغ عشرة آلاف ساروا على النحو التالي:

1000 من بني سليم عليهم خالد بن الوليد.

500 من فرسان المهاجرين والأنصار عليهم الزبير بن العوام.

300 من غفار.

400 من أسلم.

500 من بني كعب بن عمرو.

1003 من مزينة عليهم النعمان بن مقرن، ومعهم 100 فرس و100 درع.

800 من جهينة.

200 من كنانة.

250 من بني ليث.

300 من بني أشجع.

4400 من المهاجرين والأنصار.

وهكذا فتحت مكة:

وكان أبو سفيان قد خرج من مكة يستطلع الأمر فجاء به العباس بن عبد المطلب إلى رسول الله ﷺ وقد أمنه، فأسلم أبو سفيان وعاد إلى مكة بأمان من الرسول: "من أغلق بابه فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن كف يده فهو آمن".. وانتهى المسلمون إلى ذي طوى فوقفوا حتى تلاحق الناس وأقبل رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء على ناقته القصواء وقد اعتم ببرد من ثياب اليمن موشى مخطط لواه على رأسه وعليه عمامة سوداء ورايته ولواؤه أسود، وأمر الزبير بن العوام أن يدخل من كداء بأعلى مكة. وأمر خالد بن الوليد أن يدخلها من الليط من أسفلها فيمن كان معه من أسلم وقضاعة وسليم ومزينة وقبائل من العرب.

وأمر سعد بن عبادة أن يدخلها في بعض الناس من كداء أيضًا وقيل بل دخلها على بن أبي طالب من هذا الوجه.

وأقبل أبو عبيدة بن الجراح فدخلها بين يدي رسول الله ﷺ من أذاخر حتى نزل بأعلى مكة وضربت قبته هناك. وكان قد أمرهم جميعًا ألا يقتلوا أحدًا إلا أن يقاتلهم وإلا نفرًا قد سماهم. وهكذا تم فتح مكة بغير قتال إلا شيء يسير حدث في قطاع خالد بن الوليد.

غزوة حنين:

وبعد أن تم فتح مكة أمر رسول الله ﷺ فحطمت الأصنام بها وطهر الحرم منها وبعث البعوث والسرايا للدعوة إلى الله ولتحطيم الأوثان. وأقام بمكة بعد فتحها نصف شهر حتى جاءت قبيلة هوزان وقبيلة ثقيف إلى وادي حنين يريدون حرب النبي فسار إليهم في اثني عشر ألفًا، عشرة آلاف جيش فتح مكة وألفان ممن أسلم من أهلها بعد الفتح(32). حتى إذا انحدروا إلى وادي حنين دهمتهم هوازن وثقيف من مخابئهم وهم لا يشعرون بوجودهم، فارتدت عامة المسلمين وانهزموا لولا أن ثبت رسول الله ﷺ في نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته، فأتاح للفارين أن يكروا حتى ردوا المشركين وهزموهم. وفرت فلول ثقيف إلى الطائف فأغلقوا عليهم حصونهم.

غزوة الطائف:

سار رسول الله ﷺ من فوره من حنين إلى الطائف فأقام على ثقيف نصف شهر يقاتلهم ويقاتلونه من وراء الحصن، وأسلم من حولهم من الناس كلهم. ثم رجع الرسول عنهم دون أن يفتح الطائف، وأهلٍ بالعمرة من الجعرانة في ذي القعدة ثم رجع إلى المدينة في ذي القعدة أو ذي الحجة، فلما بلغها أدركته بها وفود ثقيف جاءت تسلم وتبايع وقد دخلت سنة تسع.

(32) الطبري 73/3 عن ابن حمدي عن سلمة عن ابن اسحق.

العام التاسع:

ويعرف بعام الوفود لقدوم وفود القبائل من كل أوب وصوب إلى رسول الله ﷺ بالمدينة ليسلموا. وفي هذا العام غزا الرسول ﷺ غزوة تبوك في زمن عسرة من الناس وشدة من الحر وجدب من البلاد وهو ما يعرف في السيرة بجيش العسرة. وقد جد(33) الرسول في السفر وأمر الناس بالتجهيز وحض أهل الغنى على الإنفاق لتجهيز المجاهدين وحملهم. وفي هذا الإعداد جاء النفر السبعة البكاءون إلى رسول الله ﷺ. كانوا أهل حاجة وليس معهم ما يركبون وقد بعدت الشقة إلى تبوك فأرادوا أن يدبر لهم النبي ﷺ الظَّهر الذي يحملهم فقال: "لا أجد ما أحملكم عليه، تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنًا ألا يجدوا ما ينفقون(34)" وجمهور المفسرين -كما ذكرنا حين تناولنا إسلام الأخوة- على أن السبعة البكائين هم أصحابنا البررة الأبرار النعمان بن مقرن المزني وأخوته. وقد ورد أن المسلمين حملوهم فشهدوا الغزوة مع رسول الله ﷺ.

([33]) الطبري 102/3 عن ابن اسحق.

([34]) القرطبي – سورة التوبة 91–92.

وفي ربيع الآخر بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب إلى بلاد طئ فأغار عليهم، وأصاب في السبي سفَّانة بنت حاتم الطائي، وفر أخوها عدي بن حاتم وكان سيد بني طيء. ولكن رسول الله منَّ على سفانة وزودها فعادت إلى أخيها عدي فحسنت له الإسلام فأقبل على رسول الله ﷺ مسلمًا. وسوف نجد عديًا مع النعمان بعد ذلك من أبطال حروب الردة وفتح العراق وفارس.

الباب الثاني

تحت لواء أبي بكر (حركة الردة)

حركة الردة:

ردة بين القبائل:

في شهر ربيع الأول 11هـ روع المسلمون بانتقال رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى وولى أمر المسلمين من بعده الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

وكان الرسول قد أمر قبل وفاته(35) ببعث جيش أسامة بن حارثة إلى تخوم الشام فبادر أبو بكر بإنفاذ ذلك الأمر في آخر ربيع الأول 11هـ بالرغم من إعتراض بعض الصحابة وكان إخراج ذلك الجيش إعلامًا يحتاجه الموقف ليعلن أن أبا بكر استمرار بعهده لهدى النبي ﷺ.. لا تغيير ولا تبديل. ثم كان الإختبار العملي العسير لذلك هو حركة الردة. ففي عام 9هـ جاءت وفود القبائل من أنحاء شبه الجزيرة إلى رسول الله ﷺ تعلن إسلامها، ولكنها في عام 11هـ وبعد وفاته جاءت وفودها إلى أبي بكر تعلن ردتها كليًا أو جزئيًا، فمنهم من منع الزكاة ومنهم من ذهب إلى حد الإدعاء النبوة.. إلا قريشًا وثقيفًا وأهل المدينة ومن حولها أو جانب منهم. كما ثبت في قبائل المرتدين بعض من تأصل الإيمان في قلبه فأطلق المرتدون أيديهم في قتلهم والتنكيل والتمثيل بهم.

---

(35) الطبري 184/3.

بنو مقرن يدافعون عن المدينة:

وعزم أبو بكر رضي الله عنه على مقاومة هؤلاء وإعادتهم إلى طاعة الدولة، ولم يرضى منهم إلا بأن يقروا بأن من قتل منهم فهو إلى النار ومن قتل من المسلمين فهو في الجنة، وأن يؤدوا ديات من قتلوا وأن يغنم المسلمون ما أخذوا منهم وأن ما أخذ من المسلمين مردود عليهم وأن يخرج المرتدون من ديارهم.

وقرر أبو بكر انتظار رجوع أسامة. ولكن عبسًا وذبيان عزموا على مزاحفته وخرجوا يريدون غزو المدينة وجيشها مازال بتخوم الشام. حينئذ لم يكن لأبي بكر بد من مبادرتهم قبل رجوع أسامة، فخرج إليهم بمن بقى معه من المؤمنين في جمادي الأولى أو الثانية عام 11هـ أغسطس/ سبتمبر 632.

وكان على ميمنته بطلنا النعمان(36) بن مقرن المزني وعلى ميسرته أخوه عبد الله بن مقرن وعلى مؤخرته سويد بن مقرن. تدلنا هذه التعبئة للقوة التي تحرك بها أبو بكر على أن بني مزينة كانوا هم أساسها وعصبها وعمادها. لم نجد بين سطور التاريخ وروايات الرواة ما يشير إلى أي ردة وقعت في مزينة وإنما يشرف هذه القبيلة بلا ريب أن تظهر في الجانب الثابت على إيمانه وأن تكون كافة وحدات أبي بكر لدفع هجوم المرتدين على المدينة يقودها صحابة أجلاء من مزينة هم النعمان وأخواه عبد الله وسويد.

(36) الطبري 246/3 عن السري عن شعيب عن سيف عن سهل بن يوسف عن القاسم بن محمد.

فخرجت هذه القوة -التي لم يحفظ لنا الرواة عددها- وظننا بها أنها كانت قليلة، فإن الملابسات كلها والتخطيط الذي اختطه أبو بكر هو تخطيط من أحس بالقلة فأراد تعويض ذلك بالاعتماد على الحركة وعنصر المفاجأة. لذلك خرج أبو بكر بمن معه من المدينة في آخر الليل حتى لا تتسرب أخبارهم وساروا شمالاً نحو عدوهم فبلغوا مرابطهم مع الفجر ما علموا شيئًا ولا سمعوا للمسلمين حسًا ولا ركزا حتى أعملوا فيهم سيوفهم وانتهت المعركة قبل الشروق لم تستمر أكثر من ساعة إلا بقليل وقد قتل فيها قائد المرتدين حبال بن خويلد شقيق طليحة(37) وولى المرتدون الأدبار وغلبهم المسلمون على أرضهم واتبعهم أبو بكر حتى نزل بذي القصة فترك بها النعمان بن مقرن في حامية ممن معه وعاد هو إلى المدينة.

أحقدت هذه العملية القبيلتين عبسًا وذبيان فقام من فيهما من المرتدين على من ثبت على إسلامه فأفشوا القتل فيهم. واستشرت العدوى إلى سائر القبائل ففعلوا كما فعلت عبس وذبيان. وأقسم أبو بكر أن يقتص ممن لطخ يديه بدماء المسلمين في شتى القبائل. أما فلول عبس وذبيان الهاربة فقد انضوت إلى مرتدي بني أسد في بزاخة من مياه نجد يقودهم طليحة بن خويلد متنبئ بني أسد. ومع هذا فقد جاءت إلى أبي بكر بالمدينة زكاة من ثبت على إسلامه من القبائل مع رجوعه إلى المدينة.

---

(37) الطبري 246/3.

أحد عشر جيشًا لقمع الردة:

ورجع أسامة وجيشه بعد أربعين يومًا أو سبعين على خلاف بين الرواة فأبقاهم أبو بكر بالمدينة أيامًا يريحون أنفسهم ودوابهم ثم خرج أبو بكر في جنده الذين خرجوا معه إلى ذي القصة والذين كانوا على الطرق إلى المدينة يحمونها فقال له المسلمون: "ننشدك الله يا خليفة رسول الله أن تعرض نفسك، فإنك إن تصب لم يكن للناس نظام، ومقامك أشد على العدو فابعث رجلاً، فإن أصيب أمرت آخر". ولكن أبا بكر ضرب لهم أروع المثل فقال: لا والله لا أفعل ولأواسينكم بنفسي. فخرج في تعبئته التي كان عليها والنعمان وعبد الله وسويد على ما كانوا عليه حتى نزل على أهل الربذة بالأبرق وكانوا من المرتدين القريبين من المدينة من عبس وذبيان فهزمهم، وأخذ الخطيئة الشاعر أسيرًا وأقام أبو بكر على الأبرق أيامًا، وقال: "حرام على بني ذبيان أن يتملكوا هذه البلاد إذ غنمناها الله" وأجلاهم عنها وجعلها لخيول المسلمين ترعى بها ثم جعلها لصدقات المسلمين.. ولعله استغل هذه الفترة في التفكير والتدبير والإعداد الإداري، ثم عقد أبو بكر أحد عشر لواء بعث بها في نحور المرتدين في شتى أرجاء شبه الجزيرة فكانت جيوش قمع الردة على النحو التالي:

1- خالد بن الوليد إلى طليحة بن خويلد في بني أسد ومن انضم إليهم من عبس وذبيان. فإذا فرغ منه فإلى مالك بن نويرة صاحب ردة بني تميم.

2- عكرمة بن أبي جهل إلى مسيلمة الكذاب في اليمامة.

3- شرحبيل بن حسنة في إثر عكرمة ولنفس هدفه.

4-طريفة بن حاجز إلى بني سليم ومن معهم من هوازن.

5- عمرو بن العاص إلى قضاعة ووديعة والحارث.

6- خالد بن سعيد إلى مشارف الشام.

7- العلاء بن الحضرمي إلى البحرين.

8- حذيفة بن محصن الغلفاني إلى دبا بعمان.

9- عرفجة بن هرثمة إلى أهل مهرة.

10- المهاجر بن أبي أمية إلى الأسود العنسى بصنعاء ثم إلى حضرموت.

11- سويد بن مقرن المزني إلى تهامة اليمن.

عمليات الجيوش الأربعة الأول:

تجمع الجيش الأول في ذي قصة خارج المدينة على بريد منها نحو نجد، هذا الجيش بلغ عدده أربعة آلاف أقلهم من المهاجرين وكان فيهم من الأنصار ما بين أربعمائة إلى خمسمائة في حين كان أكثره من القبائل القريبة من المدينة بعضهم من كنانة. وبحكم من تجمع فيه ومواطنهم نذهب إلى أنه أحتوى على كثير من مزينة وقد كان في مقدمتهم بطبيعة الحال الأخوة أبناء مقرن، وعقد أبو بكر لواء الجيش وجعل قيادته إلى سيف الله خالد بن الوليد.

وهذه هي المعركة الكبرى الثانية التي يعمل فيها النعمان وإخوته تحت لواء خالد بعد فتح مكة. ونعتقد أنه منذ ذلك الحين وقد لازم النعمان وإخوته خالدًا في عمليات قمع الردة حتى اكتسحوا العراق مع مطلع العام التالي.

ردة بني أسد(38):

تجمعت جموع طليحة بن خويلد متنبئ بني أسد في بزاخة من مياههم وانضمت إليه فلول عبس وذبيان الذين هزمهم أبو بكر، كما أنضوى إليه بطنان كبيران من طيء هما جديلة والغوث، ولكن عدي بن حاتم الطائي استطاع أن يثنيهما عن ردتهما وأن يضمهما إلى قوات خالد، وقد كانوا ألفا كلهم من الفرسان فصار جيش خالد خمسة آلاف. ثم انضم إليه عدد من قبيلة سليم.

واجتمع لطليحة جيش يزيد على جيش خالد بألف مقاتل والتقى الجيشان ودارت بينهما معركة عنيفة في بزاخة انهزم فيها طليحة هزيمة منكرة فامتطى فرسه وحمل معه امرأته وانطلق هاربًا إلى النقع على تخوم الشام. وأقام خالد بالبزاخة شهرًا يتتبع الفارين من الذين مثلوا بالمسلمين ويقتص منهم، فمن أحرق مسلمًا أحرقه، ومن رضخ مسلمًا بالحجارة رضخه ومن رمى مسلمًا من رؤوس الجبال رمى به وهكذا.

([38]) الطبري 253/3 عن عبيد الله بن سعد عن عمه عن سيف والسري عن شعيب عن سهل بن يوسف عن القاسم بن محمد وبدر بن الخليل وهشام بن عروة.

ولما رأى المرتدون من بني عامر وبني سليم وهوازن ما حل بطليحة وجمعه سارعوا بالعودة إلى الإسلام ونبذ الردة. بينما ذهب بعض المؤرخين إلى أن الجيش الرابع بقيادة طريفة بن حاجز قاتلهم وهزمهم. وكان لانتهاء ردة هؤلاء أثره على طليحة نفسه بعد فراره فأسلم هو الآخر وخرج نحو مكة معتمرًا ثم مر بالمدينة في عهد عمر فبايعه ومكث في داره في بزاخة حتى خرج منها إلى العراق غازيًا مجاهدًا في سبيل الله في عهد عمر وقد حسن إسلامه وسوف نجده يعمل تحت قيادة النعمان بن مقرن في معركة نهاوند في فتح فارس عام 19هـ 640م.

بعد ذلك اتجه خالد بجيشه نحو بني تميم فوجدهم قد انفضوا ورجعوا عن ردتهم فسار نحو بني حنيفة حيث دارت أعنف معارك الردة، واستشهد من الصحابة من المهاجرين والأنصار وقراء القرآن جمع كبير وقتل من أهل المدينة وحدها 360 بينما قتل من بني حنيفة حوالي عشرين ألفًا من بينهم مسيلمة الكذاب. وبالرغم من أن النعمان وإخوته كانوا في جيش خالد بن الوليد فإن ما بين أيدينا من روايات لا تذكر شيئًا محددًا عنهم في هذا الشأن.

حركة الردة الأخرى:

كانت ردة مسيلمة هي كبرى حركات الردة وبالقضاء عليها انتعش المسلمون وانتعشت آمالهم. واستطاعت سائر جيوش أبي بكر أن تحقق أهدافها فانتهت ردة قبائل الشمال، وقضى الجيشان الثامن والتاسع على ردة عمان ومهرة كما اغتيل الأسود العنسى صاحب ردة صنعاء وانتهت ردتها، وكذلك ردة حضرموت، هذه الحركات كانت بعيدة عن مجال نشاط النعمان وإخوته، ولذلك لم نسهب في تفاصيلها. أما ردة تهامة اليمن التي وجه إليها أبو بكر الجيش الحادي عشر بقيادة واحد من الأخوة هو سويد، فلا نكاد نجد تفاصيل أخرى عن ذلك الجيش، في حين نجد روايات أخرى عن القضاء على ردة الأخابث من عك بتهامة اليمن ليس فيها أي ذكر لسويد بن مقرن في حين أنه من المفهوم أن الأخوة المزنيون كانوا في الجيش الأول جيش خالد حتى ليلقي ذلك كله ظلاً من الشك على صحة رواية جيش سويد بأسرها.

بقيت نبذة عن ردة البحرين التي تولى القضاء عليها العلاء(39) بن الحضرمي بالجيش السابع وهي التي كان استطراد قمعها فتحًا للعراق وقد كان بنو مقرن في جيش فتح العراق. فقد قاد العلاء جيشه فاجتاز به نجد ثم الدهناء إلى هجر حيث جمع الحطم بن ضبيعة مرتدى بكر بن وائل.

---

(39) الطبري 301/3 – 313.

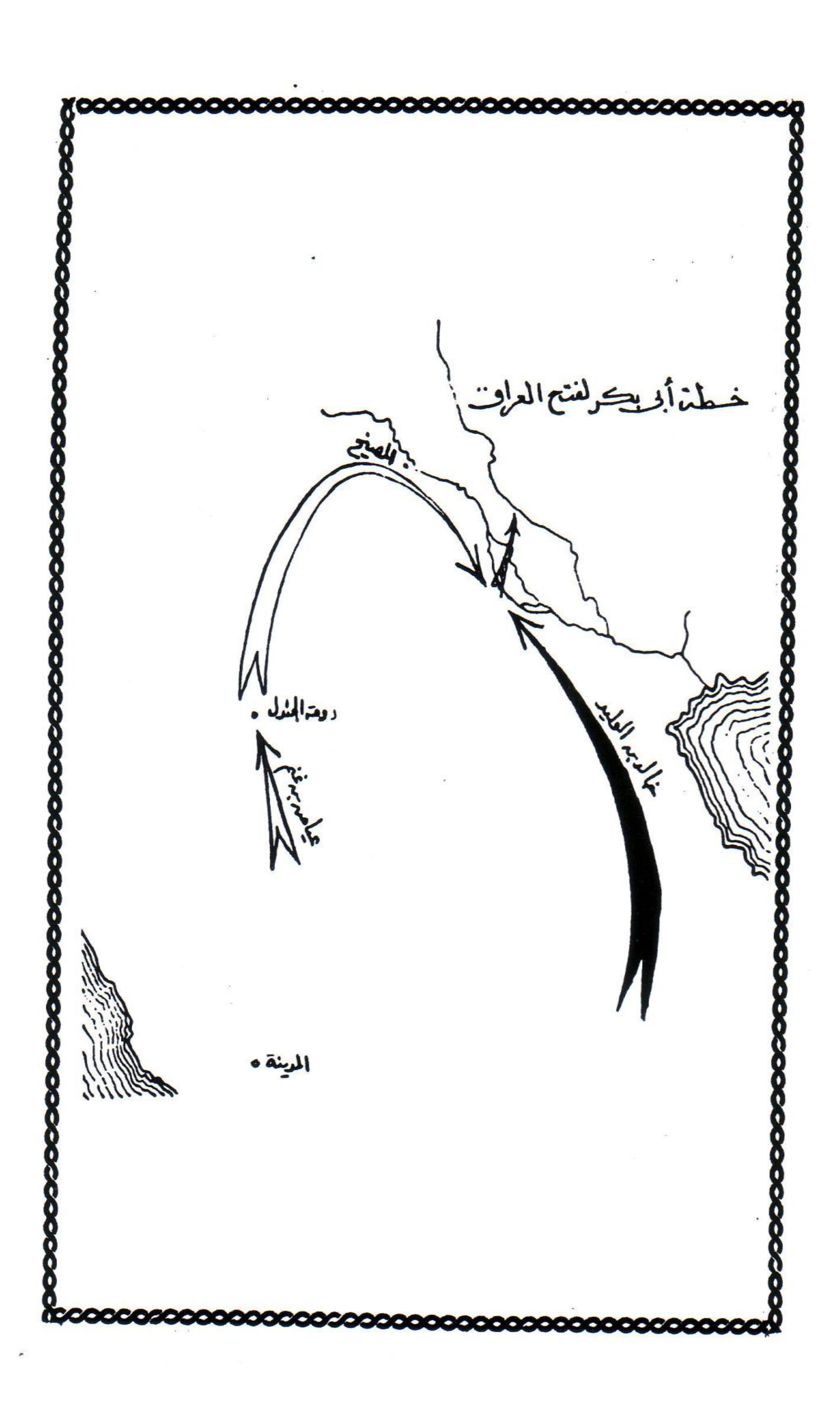
واستطاع العلاء أن يقضى على الحطم وجمعه في معركة ليلية وفرت الفلول المنهزمة إلى جزيرة دارين بالخليج العربي فتبعهم إليها. وقد أعانه عتيبة بن النهاس العجلي والمثني بن حارثة الشيباني وخصفة التيمي وعامر بن عبد الأسود في أقوامهم من قبائل بكر بن وائل فأخذوا الطرق على المرتدين. واقتحم العلاء بن الحضرمي جزيرة دارين على من حصر نفسه بها من المرتدين فاستأصل شأفتهم.

مع فتح العراق(40): استراتيجية أبي بكر:

ذكرنا عند تعرضنا لعمليات الجيش السابع في البحرين أن العلاء بن الحضرمي استعان بالمثنى بن حارثة في قطع الطريق على المرتدين من بني ربيعة. ونضيف أن المثنى سار في مطاردته لهم حتى دخل جنوب العراق وهو يومذاك تابع للإمبراطورية الفارسية الساسانية. فلما انتهت حروب الردة قدم المثنى المدينة على أبي بكر وأقنعه بفتح العراق. كان خالد بن الوليد حينذاك قد فرغ من القضاء على ردة بني حنيفة وكان مازال باليمامة يستجم، فكتب أبو بكر يعهد إليه بمهمة فتح العراق وأن لا يستفتح بعناصر مكرهة على الحرب، وإنما جعلها تطوعًا، وسمح لمن أراد من جيش خالد بالعودة أن يعود. وكتب في الوقت نفسه إلى عياض بن غنم وكان على قوات أخرى من جيوش قمع الردة بنفس المعنى.

(40) التفاصيل الكاملة لعملية فتح العراق وخرائطها التفصيلية في "الطريق إلى المدائن".. للمؤلف.

وقسم أبو بكر الاختصاصات بين الجيشين وحدد لكل جيش مهمته بحيث يدخل خالد العراق من الأبلة "قريبًا من موضع البصرة" بجنوبه ويتجه نحو الحيرة، وأن يفتح عياض دومة الجندل ثم يبدأ بغزو العراق من المصيخ بشماله ويتجه نحو الحيرة أيضًا. فمن سبق منهما إلى الحيرة كان أميرًا على صاحبه، فيكون أحدهما قاعدة متقدمة بالحيرة بينما ينطلق الثاني في عبور الأنهار -الفرات ودجلة وما تشعب منهما- نحو المدائن.


خطة أبي بكر لفتح العراق
المصيخ
دومة الجندل
عياض بن غنم
خالد بن الوليد
المدينة

جيش الفتح:

سمح كل من خالد وعياض لمن رغب ممن معهما في الرجوع، فرجع أهل المدينة وما حولها ونقصت قواتهما حتى بقى مع خالد ألفان فقط، وهنا نعتقد أن بني مزينة كانوا ممن حول المدينة الذين رجعوا من جيش خالد إلى مواطنهم فلم نر لمزينة ذكر في المرحلة التالية من بدء الفتوح، غير أن الإخوة بني مقرن كانوا من المجاهدين الباقين مع خالد في جيشه. ومنع أبو بكر كل من سبقت له ردة أن يساهم في الفتح، ولكنه أمر القائدين أن يستنفرا من ثبت على إسلامه بعد وفاة رسول الله ﷺ. ونزل خالد النباج وهو موضع لبكر بن وائل بين اليمامة وموضع البصرة بينه وبين اليمامة أربعة أيام وعلى عشرة مراحل من البصرة. ثم بدأ عملية حشد سريعة لمن ينطبق عليه أمر أبي بكر حتى صار معه ثمانية عشر ألفًا لا نكاد نجد بينهم من مزينة سوى النعمان بن مقرن وإخوته الأبرار.

معركة كاظمة:

نفذ خالد أمر أبي بكر فاتجه نحو الأبلة وهي على شط العرب على حوالي عشرين كيلو مترًا من موضع البصرة ولم تكن البصرة قد أقيمت. وقبل أن يبرح خالد النباج، أرسل إلى أمير الأبلة الفارسي هرمز يدعوه إلى الإسلام أو الإقرار بالجزية أو الحرب. ثم كان تقدم خالد سريعًا خاطفًا ومفاجئًا لهرمز الذي كانت آخر أخبار عنده عن العرب أنهم في حرب أهلية شاملة غمرت كل جزيرتهم "الردة"

فكتب هرمز إلى الملك شيرويه بن كسرى بالمدائن يخبره بزحف خالد نحوه ثم خرج مسرعًا في فرسانه حتى التقى بخالد في كاظمة وهي ماء عذب على ساحل الخليج العربي يبعد 88 كيلو مترًا عن موضع البصرة على الطريق منها إلى البحرين -وتعرف اليوم باسم الجهراء وقد ابتعدت عن الساحل بحكم ما يترسب عليه عامًا بعد عام من طمي دجلة والفرات- وقد سبق هرمز إلى الموقع فحاز الماء ونزل المسلمون على غير ماء، فقال لهم خالد: "ألا انزلوا وحطوا أثقالكم ثم جالدوهم على الماء فلعمري ليصيرن الماء لأصبر الفريقين وأكرم الجندين". وكان جند هرمز قد اقترنوا بالسلاسل حتى لا يفروا وبذلك عرفت المعركة بذات السلاسل وبنى هرمز خطته على الغدر بخالد فخرج بين الصفين ونادى: "رجل لرجل.. أين خالد؟" فخرج إليه خالد وما أن بدأت المبارزة بينهما حتى هاجمه خالد واحتضنه فهجم جند هرمز وأحاطوا بهما، حينئذ قاد القعقاع بن عمرو المسلمين وشن هجومهم حتى كشفهم عن خالد فإذا به يجالدهم ويبارزهم وقد قتل هرمز. وعمد الفرس نحو الفرار والمسلمون يطاردونهم إلى الليل وقد أفلت قباذ قائد ميمنتهم وأنوشجان قائد ميسرتهم.

ونادى خالد بالرحيل في نفس اليوم حتى نزل موضع الجسر الأعظم من البصرة وكان بها سويد بن قطبة الذهلي في جماعة من قومه يغيرون على الأراضي الخاضعة لحكم فارس كما كان المثنى يفعل بجهة الحيرة، وكان الفرس قد أعدوا قوة لمهاجمة سويد غير أنهم لم ينفذوا هجومهم بسبب وصول خالد وتعزيز قوات المسلمين فاعتصمت القوة الفارسية بالأبلة. ورأى خالد أن مهاجمته لهذه القوة وهي متحصنة في الأبلة سوف يكلفه كثيراً. فآثر استدراجها إلى خارجها، فخرج بجيشه نهارًا على مرأى من الفرس واتجه نحو الحيرة وترك سويدًا في القلة التي كانت معه، غير أنه ما إن بدأ الليل يسحب رداءه، حتى عاد خالد بجيشه إلى عسكر سويد دون أن يشعر الفرس بذلك في الوقت الذي عزم الفرس فيه على مهاجمة سويد في الصباح التالي. فلما خرجوا إليه صباحًا وقد صفوا صفوفهم للمعركة ورأوا كثرة من في معسكره انكسرت معنوياتهم ولمح خالد ذلك فأصدر أمره: "إحملوا عليهم فإني أرى هيئة قوم ألقى الله في قلوبهم الرعب". فحمل المسلمون عليهم فقتلوا منهم من قتلوا وألقوا طائفة منهم في نهر شط العرب فغرقوا، ثم فتح قرية الخريبة وكانت من المواقع الحربية للفرس وسبى من بها واستخلف عليها شريح بن عامر، وبعث المثنى بن حارثة في آثار المجوس الفرس لمطاردتهم. وهنا نجد أول ذكر في فتح العراق خاص بالأخوة المزنيين، فقد أرسل خالد معقل بن مقرن المزني إلى الأبلة فجاءها وجمع مالها وسبيها في محرم 12هـ إبريل 633(41).

(41) يرجع إلى الطريق إلى المدائن 220.

معركة المذار:

واكتشف المثنى في مطاردته فلول المعركة اقتراب تحرك ساساني قادم من المدائن مددًا لهرمز بناء على رسالته إلى شيرويه يتحرك على الساحل الشرقي لدجلة ويقوده قارن بن قريانس. وتوقف قارن بالمذار يضم إليه فلول ذات السلاسل والمعركة التي تلتها. فتحرك خالد نحو المذار وهو على تعبئة كاملة واستعداد للالتحام فور ظهور العدو. والتقى الجيشان بالمذار وكانت النتيجة قتل قارن قائد الفرس وقباذ وأنوشجان قائدي الميمنة والميسرة وثلاثين ألفًا من العجم وفرار الباقين عراة وأشباه عراة.

حماية المؤخرة:

كانت خطة الحملة أن تتقدم على محور الأبلة الحيرة وبذلك أمر أبو بكر والآن يريد خالد أن يعود إلى ذلك الخط وهو يرى احتمال أن يبعث الفرس بقوات أخرى من جهة الشرق إلى قطاع الأبلة فتهدد مؤخرته أو أجنابه وهو يتقدم نحو الحيرة. ولذلك أراد أن يؤمن سلامة قواته في تقدمها فترك حاميات مناسبة تجاه كل مدخل من مداخل تلك المنطقة.

فكان سويد بن قطبة الذهلي على ناحيته من منازل بني ذهل تجاه موضع البصرة.

وكان قطبة بن قتادة السدوسي على ناحية أخرى بتلك التخوم.

وكان شريح بن عامر من هوازن على الخريبة جنوبي موضع البصرة.

هذه الحاميات كانت أشبه بنقط الحدود تشرف على منافذ المنطقة وينظر بعضها إلى بعض وتنتهي قيادتها جميعًا إلى بطل من أبطالنا هو سويد بن مقرن المزني الذي أمره خالد على جمع الجزية وأمره بنزول الحفير وهي موقع متوسط يقع خلف تلك الحاميات من جهة الصحراء ليجعلها مركزًا للقيادة بهذا القطاع ومهمته حماية ظهر جيش المسلمين الذي يقوده خالد نحو الحيرة، وأمره خالد ببث عماله وأطلق يده في الجباية.

سويد بن مقرن -كي لا ننسى- هو أيضًا الذي جعله أبو بكر رضي الله عنه على مؤخرة القوة التي دهم بها مرتدي عبس وذبيان في ذي قصة حين أرادوا مهاجمة المدينة، كما جاء ذكره قائدًا للجيش الحادي عشر لقمع ردة تهامة اليمن.

ولا شك أن اختيار خالد لسويد -من بعد اختيار أبي بكر له في مهمة مماثلة في العام السابق يؤكد تزكية هذا الصحابي الجليل في المجالين الحربي والإداري، فقد كانت مهمته حربية مالية معا تستدعي من القائم بها أن يكون أهلا لقيادة قوة حربية -أغلب ظننا أنها كانت صغيرة- تقوم على مشارف ذات خطورة يمكن أن تكون مصدر تهديد لجيش غاز، وأهلا كذلك للقيام بعمليات جباية الجزية أمينًا على ذلك.

انتهينا في "الطريق إلى المدائن"(42) إلى أن القبيلة كانت وحدة حربية في الميدان يقودها واحد منها غالبًا، كما وأننا لاحظنا أن للصحابة من المهاجرين والأنصار وضعًا خاصًا فلم تكن لهم دائمًا في الفتوح وحدات خاصة بهم من قبائل وإنما كنا نجدهم في القيادات غالبًا. ولقد مر بنا أنه لم يكن في جيش خالد عدد يذكر من مزينة، فضلاً عن أن قيادة سويد بن مقرن بالحفير إنما كانت على حاميات من ذهل وسدوس وهوازن، وبذلك كان سويد قائدًا لحاميات المؤخرة لكفاءته وشخصيته وصحبته وليس لقبيلته. يؤيد ذلك أن إخوته لم يتركوا معه في الحفير وإنما كانوا مع خالد في تقدمه وخاضوا معه معاركه حتى الحيرة وسيرد ذكرهم هناك.

معركة الولجة:

ما أن بلغت أخبار تلك الهزائم إلى المدائن حتى بعثت جيشًا بقيادة أندرزغر وجيشًا آخر في إثره بقيادة بهمن جاذويه. وتقدم أندرزغر حتى عبر الفرات إلى موضع بالصحراء يعرف بالولجة، وانضمت إليه هناك حشود من العرب الموالين للفرس فعزم على خوض المعركة - هذا بينما كان بهمن جاذويه يتجه بجيشه رأسًا نحو خالد في المذار. وقدر خالد موقفه فرأى أنه سوف يقع بين فكي كماشة إذا هو بقى بالمذار. فرحل بجيشه وعاد أدراجه جنوبًا حيث ترك سويد بن مقرن وحامياته وأمرهم بالحذر وترك الاغترار، ثم اتجه نحو الولجة فوجدها صحراء منبسطة لا تحوطها ظواهر طبيعية، فأعد لهم كمينًا اعتمد فيه على أسلوب التطويق المزدوج واستطاع أن يوقع الفرس ومن ناصرهم من العرب فيه

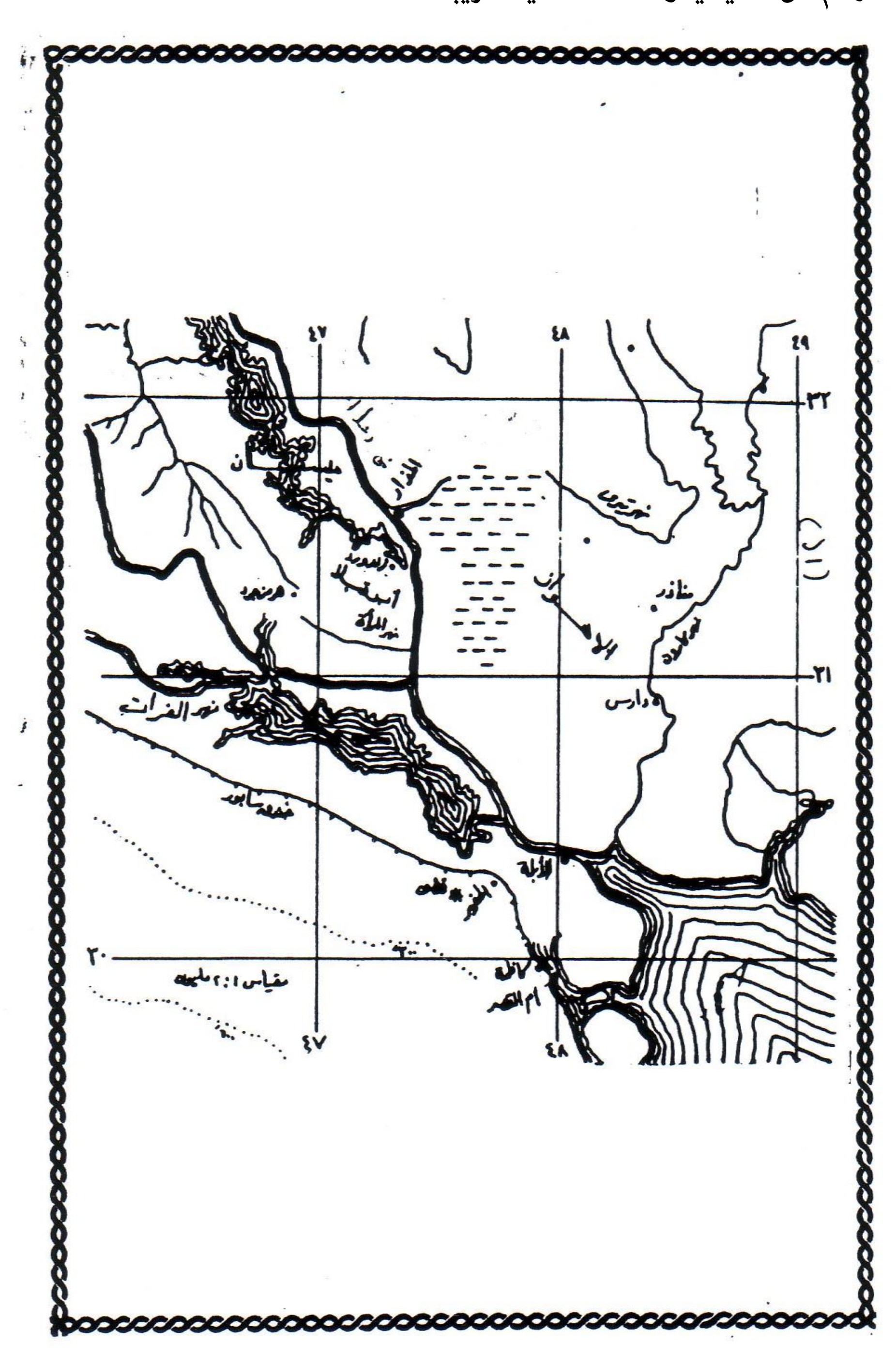
([42]) ص22-26.

فأوقع بهم الهزيمة وفر اندرزغر إلى الصحراء حتى مات عطشًا. كانت هذه الموقعة في 22 صفر 12هـ- 3 مايو 633م.

نهر الدم:

وقعت هذه المعركة بين خالد والجيش الثاني الذي كانت قيادته لبهمن جاذوبه، غير أن بهمن عاد إلى المدائن لمقابلة الملك فوجده مريضًا فبقى معه واستخلف على جيشه جابان وأمره بالتقدم. هذا في حين راح العرب الموالون للمجوس يتجمعون لخوض معركة ثأريه لما أصابهم من المسلمين يوم الولجة، وانضم هؤلاء إلى أولئك. والتقى خالد بجموعهم في أليس على نهر الفرات، وكانت مقاومتهم أشد مما كان في أي معركة سبقت لما كانوا يتوقعون من وصول إمداد مع بهمن جاذويه حتى نذر خالد: "اللهم أن لك عليّ إن منحتنا اكتفاهم ألا أستبقى منهم أحدًا قدرنا عليه، حتى أجرى نهرهم بدمائهم". واستجاب الله لدعاء خالد فوفى خالد نذره وأقبلت فرسان المسلمين بأفواج المجوس مستأسرين يسوقونهم سوق الماشية ويضربون أعناقهم على النهر.

يقول الرواة أن قتلى المجوس ومن والاهم من العرب بلغت في أليس سبعين ألفًا أكثرهم من أمغيشيا وقد كانت مدينة قريبة.



الطريق إلى الحيرة:

إلى هنا وقد وضح للعجم أن هجوم خالد يستهدف الحيرة بالذات ولعل هذا لم يكن واضحًا لهم من قبل. وكان مرزبان الحيرة "حاكمها" مجوسيًا من قبل فارس. فأعد عدته وجمع جنده وتهيأ للحرب. ونقلت عيون المرزبان إليه أن خالدًا يجمع سفن الفرات في أمغيشيا ليحمل عليها جنوده ذلك أن المنطقة مليئة بالأنهار والقنوات والبطائح والمستنقعات وأن السير على الأرض عسير وفيضان الربيع يغرقها فيشق سير الإبل عليها إن لم يكن مستحيلاً فأمر ابنه بسد الفرات حتى يمنع جريان الماء فيه وفتح للمياه سبلاً أخرى تتدفق فيها، وجعل معه قوة من الفرسان لحماية هذه العملية الهندسية.

وفوجئ المسلمون بسفنهم تجنح في النهر وعرفوا السبب، فخرج خالد من فوره في غارة بالخيل حتى دهم ابن المرزبان وأباد من معه وأعاد المياه إلى مجاريها واستمر في غارته قبل أن تسبقه الأخبار حتى نزل بين الخورنق والنجف من أرض الحيرة. وما أن علم المرزبان بذلك حتى انسحب بعسكره إلى ما وراء الفرات دون قتال. وتتابعت قوات خالد حتى نزلت الحيرة وحاصرت حصونها.

سقوط الحيرة:

تقدم خالد بجيشه من الخورنق إلى حيث كان معسكر المجوس فنزل به وتحصن أهل الحيرة في حصونهم وكانوا من نصارى العرب الموالين للمجوس العجم، وكانت حصونهم أربعة فقسم خالد قواته لحصارها. فحاصر ضرار بن الأزور الأسدي الحصن الأبيض، وحاصر ضرار بن الخطاب الفهري حصن العدسيين، وحاصر ضرار بن مقرن المزني حصن بني مازن، وحاصر المثنى بن حارثة الشيباني حصن ابن بقيلة، وأمر خالد كل أمير من الأمراء الأربعة أن يدعو أهل الحصن الذي يحاصره إلى واحدة من ثلاث، الإسلام أو الجزية أو القتال، وأن يمهلوهم يومًا. وهنا نجد ضرارًا أحد الإخوة وليس أكبرهم قرينًا في المسئولية لضرار بن الأزور وضرار بن الخطاب ولفارس بني شيبان المثنى بن حارثة رضي الله عنهم. ورفض أهل الحيرة الإنذار وانقضت المهلة فأنشب ضرار بن الأزور القتال مع الحصن الأبيض ثم نشب القتال مع كل الحصون وشن الأمراء الأربعة الغارات على ما في خارج الحصون فافتتحوا الدور والأديرة وأكثروا القتل وخرج القسيسون والرهبان من أديرتهم فنادوا أهل الحصون: "يا أهل القصور.. ما يقتلنا غيركم".

ورأى أصحاب الحصون جلاء العجم عنهم واحتواء المسلمين لما حولهم وأدركوا ألا جدوى من المقاومة فقبل عمرو بن عبد المسيح صاحب حصن ابن بقيلة عرض المسلمين ثم تبعته الحصون الأخرى. وخرج سيد كل حصن إلى الأمير الذي يحاصره فأرسله كل منهم مخفورًا إلى خالد في فسطاطه وخلا خالد بأهل كل حصن على انفراد ثم جمعهم جميعًا وكتب معهم معاهدة صلح.

وكان سقوط قصور الحيرة أول ما تحقق من نبوءة النبي ﷺ يوم الخندق وشهدها النعمان بن مقرن وإخوته رضي الله عنهم.

كان لسقوط الحيرة أهمية مادية ومعنوية كبرى. فهو موطئ قدم للوثوب على المدائن، وهي طريق انسحاب وخط رجعة إذا لزم الأمر، وهي الغرض الأول المستهدف في خطة أبي بكر التي عهد بها إلى خالد بن الوليد وعياض بن غنم. وهي أول عاصمة إقليمية ينتزعها المسلمون انتزاعًا من المجوس الفرس فما أن سقطت الحيرة حتى جاء أهل القرى من وراء الفرات يطلبون صلحًا كصلح الحيرة حتى يجنبوا قراهم ويلات الحرب وبذلك انفتح للمسلمين ما وراء الحيرة وما وراء الفرات حتى شواطئ دجلة. وراح خالد يمارس سلطاته الحربية والمدنية على ما فتح من أرض وما دخل في ذمة المسلمين، فكان عماله على جباية الجزية كالآتي:

1- عبد الله بن وثيمة النصري على الفلوجة "شمالاً قرب عين التمر".

2- جرير بن عبد الله البجلي على بانقيا وبسما بين دجلة والفرات قريبًا من المدائن.

3- بشير بن الخصاصية على النهرين.

4- أط بن أبي أط على روذمستان.

وتذهب روايات إلى أن خالدًا أرسل سويد بن مقرن المزني على تستر شرقي دجلة فنزل العقر فهي تعرف باسمه وتسمى عقر سويد إلى قرون بعدها. ولكننا بالنظر إلى موقع مدينة تستر (انظر الخريطة) وحصانتها وقد كانت أعظم مدينة بخورستان نستبعد أن يكون فتح تستر قد تم ضمن أعمال هذه الحملة ونقطع بأنها لم تفتح إلا ضمن عمليات فتح الأهواز على ما سيأتي، ونرى أن سويد بن مقرن رضي الله عنه كان ما يزال بالحفير علي جباية الجزية من قطاع الأبلة وشط العرب وهي المناطق غربي شط العرب التي تقابل تستر في شرقه.

كذلك أرسل خالد قواده إلى مختلف المناطق للمنعة والحماية.

لقد كان عشرة من بني مقرن مع جيش خالد، منهم سويد بن مقرن على قطاع الحفير والأبلة ومنهم النعمان بن مقرن أكبر الإخوة في هيئة أركان خالد بالحيرة ولا يذكر لنا الرواة مزيدًا من التفصيل عن الآخرين ولكنهم يذكرون وجودهم في الحملة ونذهب إلى أنهم كانوا مع خالد والنعمان بالحيرة.

إنجاز أعمال عياض:

فرغ خالد من هذا الاكتساح في نحو أربعين يومًا بينما كان عياض بن غنم مازال محاصرًا دومة الجندل وقد أجهد أهلها وأجهدوه. فكان على خالد أن يتحرك لإنجاز ما أبطأ عن عياض. وهو في سبيل ذلك يجد أمامه مشكلتين: الأولى: أن يحتفظ بما تم له فتحه، والثانية: أن يأمن أن يطعن من خلفه وما زالت للفرس مواقع وحصون في الشمال، وكذلك للعرب الموالين لهم. إذ ذاك أعاد خالد تنظيم قواته فقسم ما تم فتحه من أرض العراق إلى أحد عشر قسمًا، سبعة بالحيرة وأربعة بالأبلة على كل قسم أمير من المسلمين، فكان سويد بن مقرن المزني من أمراء قطاع الأبلة وما نحسبه إلا بقي على ما كان عليه حين تركه خالد بالحفير حاميًا لمؤخرة المسلمين. ونجد في أسماء أمراء الحيرة اسم ضرار غير منسوب لأبيه، وأغلب ظننا أنه ضرار بن مقرن، فلم يكن هناك من أركان خالد الذين كان يعتمد عليهم ضرار آخر سوى ضرار بن الأزور الأسدي وضرار بن الخطاب الفهري وكلاهما كان أكثر التصاقا بخالد بحيث نرجح أنهما كانا معه في تحركاته التالية، ثم لم يكن ضرار بن مقرن بعيدًا عن إمارة في الحيرة فقد كان أحد القادة الأربعة الذين حاصروا حصون الحيرة وفتحوها.

هؤلاء الأمراء الأحد عشر الذين ولاهم خالد أقسام الأبلة والحيرة كان عليهم ألا يكفوا عن مناوشة العجم والإغارة على شتى جهات سواد العراق حتى شطآن دجلة ليشغلوهم دائمًا وليغنموا منهم ما يستنزف مواردهم وما يتعيشون هم به. واستخلف خالد على الحيرة القعقاع بن عمرو التميمي بينما خرج هو ليقضي عمل عياض الذي كلفه به أبو بكر.

وجد خالد أنه يتعين عليه أن يفرغ أولاً من مواقع الفرس شمال الحيرة قبل أن يتجه نحو دومة الجندل وذلك حتى لا يتهدد من خلفه. فسار شمالاً إلى كربلاء حيث أقام بها أيامًا ثم زحف نحو الأنبار ففتحها في حوالي 4 رجب 12هـ - 14 سبتمبر 633م بعد أن دافعت عنها قوات من الفرس المجوس ومن نصارى العرب الموالين لهم. ثم جاء إليه أهل المناطق المحيطة يطلبون الصلح فصالحهم واستخلف الزبرقان بن بدر على الأنبار واتجه إلى عين التمر بالصحراء حيث كان بها حصن اجتمع فيه العجم والعرب العملاء، فبقي العجم بالحصن بينما تقدم العرب لمواجهة خالد على الطريق، فلما هزمهم انسحب العجم من الحصن بدون قتال.

اتجه خالد بعد ذلك إلى دومة الجندل ففتحها في حوالي 24 رجب 12هـ -4 أكتوبر 633 وانتهز الفرس هذه الفرصة فزحفوا بقوات جديدة من جيوشهم ومن عرب الجزيرة. وبادر القعقاع بتحريك قواته نحوهم وعاد خالد إلى العراق ومعه جيش عياض فاستخلف خالد عياضًا على الحيرة

وتحرك هو ومعه القعقاع نحو هذه التجمعات الجديدة فكانت معركة في حصيد في 10 شعبان 12هـ- 9 أكتوبر 633 ثم في الخنافس في 11 شعبان 12هـ ثم معركة ليلية في المصيخ(43) في 19 شعبان 12هـ - 19 أكتوبر 633 ثم معركة ليلية أخرى في الثني وأخرى في الزميل في نفس الليلة من يوم 23 شعبان 12هـ - 2 نوفمبر 633. وعلم خالد بجموع جديدة تجمعت في الرضاب "موضع الرصافة غربي الرقة" فسار نحوها، ولكن هذه الجموع انقضت رعبًا وهلعًا قبل أن يصل إليها، وكان قد ابتعد نحوا من ثمانمائة كيلو مترًا من الحيرة فبدأ يعود أدراجه. وفي طريق العودة التقى بقوات مشتركة من الفرس والروم وعملائهم من العرب قد تجمعوا له فهزمهم هزيمة منكرة في الفراض، وقتل منهم مائة ألف على رواية جميع المؤرخين وكان ذلك في 15 ذي القعدة 12هـ - 21 يناير 634.

لا نستطيع أن نقطع بمكان النعمان وإخوته حين خرج خالد إلى دومة الجندل، فربما كانوا ممن مكث مع القعقاع بالحيرة وربما كانوا ممن زحف مع خالد إلى الأنبار وعين التمر وربما خرجوا معه إلى فتح دومة الجندل، فليس أمام أبصارنا ما ينير لنا هذه المسألة. ولكننا نستطيع القول أنه حين عاد خالد من دومة الجندل إلى الحيرة وترك فيها عياضًا في جيشه ثم تحرك هو في جيشه إلى تلك المعارك أنه من المنطقي أن يكون الإخوة المزنيون قد أخذوا أماكنهم مع خالد في المعارك التي ذكرنا.

---

(43) التفاصيل الكاملة لهذه المعارك وخرائطها في "الطريق إلى المدائن".

بقاء بالعراق:

وهذه الفتوح تجرى في العراق، وكان للمسلمين جيوش أخرى في الشام قد تحرج موقفها فقرر أبو بكر أن ينقل خالدًا بنصف جيشه من العراق إلى الشام وترك بالعراق المثنى بن حارثة أميرًا على النصف الثاني للجيش. كان خروج خالد من العراق في أوائل شهر صفر 13هـ- أبريل "نسيان" 634م على أن ينجز مهمته في الشام ثم يعود إلى العراق. غير أنه لم يقدر لخالد أن يعود إلى العراق بعد ذلك أبدًا، وحين رجع جيشه –بدونه- كان ذلك بعد مرور يوم على بدء معركة القادسية. ولقد كان النعمان وإخوته ممن بقى بالعراق مع المثنى بن حارثة ولن نكون مفرطين في الظن إذا افترضنا خوضهم غمار كل معركة خاضها جيش المسلمين بالعراق ولو لم يرد لهم ذكر خاص فيها.

وكما تتلمذ الإخوة بنو مقرن على رسول الله ﷺ وعلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه من بعده، فلا ريب أيضًا أنهم قد أفادوا كثيرًا من خبرتهم في الحرب من جهادهم تحت لواء خالد سواء في حروب الردة أو في فتوح العراق، فقد شهدوا معه بطولته وجرأته وشجاعته ومفاجأته وأساليبه لتأمين جيشه في وقوفه وفي حركته وفي تنظيم مخابراته وفي إمساكه دائمًا بالمبادرة وفي قدرته على توفير الحشد والمرونة وسرعة الحركة واختياره التكتيك المناسب للمعركة وحسن استغلاله لكل نجاح حصل عليه وفي أسلوبه ومنهجه في القيادة وفي الإدارة التي كان الإخوة من أركانه التي أعتمد عليهم فيها.

الباب الثالث

في عهد عمر(معركة بابل)

معركة بابل:

بعد خروج خالد أعاد المثنى تنظيم قواته التي صارت نحوًا من تسعة آلاف وزحف إليه من المدائن جيش فارسي قوامه عشرة آلاف ومعه فيل من أفيال الحرب فبادر المثني والتقى بذلك الجيش في بابل وهزمه وقتل الفيل. وبالرغم من ذلك فلم يكن المثني ممن يبطره الفوز أو ينشيه الظفر، فقد كان يدرك تمامًا أن تسعة آلاف لا يمكنها أن تحتفظ بما تم فتحه من أرض العراق فضلاً عن أن يواصل بها فتح ما لم يفتح بعد. لذلك انفلت إلى المدينة لمقابلة أبي بكر فوجده يحتضر، ولم يمنعه ذلك من تقديم مشروعه بالسماح لمن ثبت حُسن إسلامه ممن سبقت له ردة أن يجاهد معهم فما أشد تأثير الذنوب إذا انقلبت إلى توبة وإنابة، وقبل أبو بكر الفكرة وكان قد استخلف عمر فاستدعاه وكانت تلك آخر وصاياه إليه ثم لقي ربه من ليلته تلك رضي الله عنه وأرضاه.

معركة الجسر:

وعمل عمر بوصية أبي بكر فبعث بأمداد المسلمين إلى العراق حتى صار الجيش اثني عشر ألفًا وجعل أميرهم أبا عبيد بن مسعود الثقفي. خاض أبو عبيد ثلاث معارك ناجحة في النمارق وفي السقاطية وفي باقسياثا وهزم جيوش الفرس فيها ثم كانت معركة الجسر الشهيرة في التاريخ في 23 شعبان 13هـ- 22 أكتوبر 634

وقد وقع أبو عبيد فيها في خطأ جسيم أوقع جيش المسلمين برمته في مأزق حرج أدى به إلى هزيمة شنعاء استشهد فيها أربعة آلاف ما بين قتيل وغريق واستشهد أبو عبيد نفسه وعدد من إخوته وبنيه تحت أقدام فيل من أفيال المجوس وفر أربعة آلاف واستطاع المثنى أن يحتفظ بأربعة آلاف انسحب بهم إلى تخوم الصحراء. في معركة الجسر استشهد كثير من الأنصار وعم الحزن المسلمين في كل البقاع وانتشرت المراثي في ميدان القتال وفي المدينة وفي غيرهما..

في جيش المثني:

تولى المثني قيادة فلول المسلمين وتدفقت عليه أمداد المسلمين من شبه الجزيرة حتى اكتمل له ثمانية آلاف وخاض بهم معركة في البويب كانت تكرارًا وإعادة لموقعة الجسر مع تبادل الغالب والمغلوب دورهما، وقد استفاد المثني من معركة الجسر أيما إفادة فاستدرج الفرس إلى المأزق الذي وقع فيه أبو عبيدة في معركة الجسر وأبدى من ضروب البطولة والبراعة وعلم النفس العسكري في المعركة ما يصلح مثلاً للقادة من بعده على مر الأجيال. وانتصر المثني انتصارًا عظيمًا جعل الرواة والمؤرخين يقدرون قتلي المجوس فيها بمائة ألف قتيل على ما في هذا الرقم من مبالغة ظاهرة.

وبعد معركة البويب أطلق المثني وحدات جيشه في مطاردة عميقة لفلول المجوس الذين انطلقوا في كل صوب. وقد رد المثني إلى المسلمين اعتبارهم مما أصابهم يوم الجسر ومخرت قوات المطاردة سواد العراق كله من شماله إلى جنوبه وقد انفتح أمامه بعد مذبحة الجيش الفارسي الكبير واستخدم المثني في ذلك تكتيكات الحرب الخاطفة وفق أحدث مفهوم لها في القرن العشرين.

صحوة الموت:

كان لتلك الهزائم المتكررة التي أصابت الإمبراطورية الفارسية العجوز على يد الرعيل الأول من الصحابة والتابعين رد فعلها على البقايا الرجعية المجوسية للحكم الساساني بدولة الفرس، فأنهوا خلافاتهم الداخلية وولوا عليهم يزدجرد الثالث بن شهريار بن كسرى برويز فكان آخر ملوك بني ساسان. اجتمعوا عليه وهو ابن إحدى وعشرين سنة وتباروا في طاعته ومعونته بعد أن أحسوا بجدية الخطر الذي يتهددهم من الدين الجديد والمؤمنين به. وزاول يزدجرد سلطانه بمعونة أكبر رجلين في دولته وهما رستم وفيرزان.

جدد الفرس مسالحهم وثغورهم وأعادوا حشد قواتهم. وتوقع المثني قيام عدوه بهجوم مضاد، وصدق حدسه فلم يسمح بالاشتباك في معركة حيث لم يكن جيشه سوى ثمانية آلاف. فانسحب بجنده من سواد العراق إلى تخوم الصحراء حيث لا يستطيع الفرس أن ينالوا منه. كان ذلك في أواخر ذي القعدة 13هـ - يناير 635، وراح عمر يجمع حشودًا أخرى لمعركة جديدة.. معركة القادسية كبرى المعارك الحاسمة في التاريخ.

القادسية(44):

إذا قلنا أن القادسية معركة حاسمة في تاريخ الإسلام فلربما كان في هذا التعبير شيء من القصور، إذ لعل القادسية أن تكون هي أحسم معركة في تاريخ العالم منذ كان له تاريخ. فبهذه المعركة انفتحت أبواب العراق وفارس للعرب القادمين برسالة الإسلام وانفتح من وراء ذلك خط الشرق كله، فقامت دَولة إسلامية محل الإمبراطورية الفارسية الساسانية التي شغلت تلك الرقعة لقرون خلت، وحل دين الإسلام الرشيد ونور الله محل المجوسية المخرفة التي استذلت العقول والأذهان.. ثم كانت تلك الفتوح هي الباب الذي دخلت منه شعوب الشرق في دين الله أفواجا، واختلطت من خلاله الثقافات الشرقية فارسية أو هندية بفلسفات الإسلام ونظرياته وتمازجت بها. وبانفتاح خط الشرق تدعم مركز المسلمين بما أعانهم ولا شك على تقدمهم شمالاً وغربًا على حساب الإمبراطورية الرومانية.

جيش جديد:

كانت القبائل تتوافد من بقاع شبه الجزيرة إلى المدينة فينزلهم عمر على صرار -ماء قريب من المدينة- على طريق نجد نحو العراق. فلما اجتمع منهم جمع أمر عليهم سعد بن أبي وقاص خال رسول الله ﷺ وخامس خمسة من السابقين إلى الإسلام.

([44]) أوفى ما كتب عن معركة القادسية ظهر في كتاب "القادسية" للمؤلف والكتاب يقع في 260 صفحة وموضح بسبع عشر خريطة.

وأول من رمى بسهم في سبيل الله وأحد الستة أهل الشورى من بعد عمر وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة. ثم بعثهم عمر فخرجوا من صرار في حوالي 13 شعبان 14هـ- أول أكتوبر 635. واجتاز بهم سعد نجدا ثم نزل زرود على 585 كيلو مترًا من المدينة حيث جاءته أمداد كثيرة أخرى. حينذاك فقد المسلمون رجلاً من خير رجالاتهم وألمع قادتهم هو المثني بن حارثة، أفضي إلى ربه متأثرًا بجراحه التي جرحها يوم الجسر. ثم تقدم سعد من زرود إلى شراف وانضم إليه هناك جيش المثني الذي كان بالعراق من قبل –وبه النعمان وإخوته- فنظم سعد جيشه ورتب قياداته. هذا الجيش الذي لم يجتمع مثله من قبل لحرب العراق بلغ ستا وثلاثين ألفًا من بني قحطان وبني عدنان على السواء.

تخطيط جديد:

وقد استفاد المسلمون من تجارب حروبهم السابقة بالعراق فرسموا خطتهم للقادسية على أساس جديد من عنصرين:

1- اختيار أرض المعركة بحيث توفر فيه أنه كان على حدود ما بين الصحراء وشبكة المسالك والمسطحات المائية التي تميزت بها أرض العراق تجنبًا للتورط في أرض موانع مائية، وحتى يحفظ للمسلمين خط الرجعة إذا سارت الأمور على غير ما يشتهون.

2- أن تكون المعركة كبيرة وحاسمة تقضي على القوة الأساسية للفرس.

في انتظار المعركة:

خرجت الحملة من شراف فنزلت القادسية في 16 صفر 13هـ - 29 مارس 636، والنعمان وإخوته معها ليسوا غرباء عن الأرض فطالما ذرعوها جيئة وذهابًا في معاركهم السابقة. وأراد الفرس أن يطاولوا المسلمين لعلهم ينصرفون وضاق بعض المسلمين الذين لا يدرون ما وضع لتلك الحرب من خطة، ولكن سعدًا ظل محافظًا على غرضه فظلت قواته بالقادسية تنتظر قدوم جيش فارس الكبير، وفي سبيل إحراجهم والضغط عليهم لتعجيل ذلك راح سعد يبعث السرايا للقيام بغارات تموينية على شتى أنحاء العراق بهدف الإعاشة والتموين لجيش المسلمين في الميدان، ولشن حرب استنزاف على الفرس، ولإحراجهم ليخرجوا إليه جيشهم حيث اختار هو ميدان المعركة وأخيرًا اضطر الفرس إلى تولية رستم -أكبر رجالات فارس في الحرب والسياسة- قيادة جيشهم لخوض المعركة على كره منه واعتراض.

وفد سعد إلى يزدجرد:

وجاء إلى سعد أمر من عمر أن يبعث إلى يزدجرد نفرًا من المسلمين من أصحاب الهيئة والمنظر والمهابة والرأي والاجتهاد والبلاغة احتجاجًا إلى الله ودعاة له. واختار سعد الوفد وجعل النعمان بن مقرن على رأسه وأميرًا عليه. ويمكننا أن نستنير في تقييم النعمان عند سعد بالنظر في أشخاص الوفد الذي جعله أميرًا عليهم.

بسر بن أبي رهم صاحب خالدًا في حروب الردة وشهد معه معركة اليمامة وفتح العراق وكان أحد الفرسان المذكورين المشهورين. وقد أوكل إليه خالد بن الوليد أمر الكمين الذي أوقع فيه المجوس الفرس ومن ناصرهم من العرب في موقعة الولجة كما كان قائد ميسرة المثني بن حارثة في معركة البويب ثم كان ذا بلاء مشهود في معركة القادسية.

-حنظلة بن الربيع التميمي المعروف بحنظلة الكاتب لأنه كتب للنبي ﷺ كتابًا وكانت الكتابة في العرب قليلة. كان حنظلة في جيش خالد لفتح العراق ومن شهود معاهدة الصلح مع أهل ما بين النهرين ومن شهود جباية الجزية، وقد وجهه خالد - حين استقر في الحيرة- في صحبة المثني إلى جابان الفارسي حين ظهر في تستر بجمع كبير من المجوس فلما اقتربا منه انسحب إلى داخل إيران. وحين أراد خالد الخروج إلى الشام استأثر بحنظلة فلما كانوا بسوي في عبور صحراء السماوة استأذن حنظلة وجرير بن عبد الله ونفر معهما ورجعوا إلى المدينة.

-فرات بن حيان العجلي خبير طرق شبه الجزيرة العربية والعراق. كان دليل تجارة قريش حتى اعترضته سرية زيد بن حارثة في العام الثالث الهجري وأسرته وعادت به إلى المدينة فأسلم. ثم كان في العام الثامن دليلاً لسرية زيد بن حارثة لاعتراض تجارة قريش إلى العراق. وكان فرات ممن اختارهم خالد للخروج معه إلى الشام ثم تركه ترضية للمثني. شهد البويب وصاحب المثني في غاراته على شمال العراق بعدها.

-عطارد بن حاجب من سادات بني تميم وكان الوحيد في هذا الوفد وربما في العرب الذي دخل إيوان كسرى من قبل فقد كان لمنزلته يفد على ملوك فارس في الجاهلية.

-الأشعث بن قيس الكندي كان رئيسًا مطاعًا في كندة في الجاهلية كما كان وجيهًا في الإسلام. وكان رئيس وفد كندة حين قدم على النبي ﷺ في العام العاشر. ثم ارتد بعد النبي وأسره المسلمون في حروب الردة وأرسلوه إلى أبي بكر فأسلم فأطلق أبو بكر سراحه فقال لأبي بكر: "استبقني لحربك وزوجني أختك!" فاستجاب له أبو بكر تقديرًا له واطمئنانًا إلى حسن إسلامه.

-عاصم بن عمرو التميمي أغنى من أن يعرّف وقد كثر ذكره في حروب خالد وأبي عبيد والمثني. كان على ثلث جيش خالد حين تحرك من النباج إلى العراق. وكان قائد ميمنة خالد في كاظمة وفي المذار، ثم كان قائدًا لحامية كربلاء بعد صلح الحيرة، ثم كان مع خالد في فتح دومة الجندل وكان هو الذي أسر أكيدر ملك دومة الجندل. وقد كان مع خالد في معارك عين التمر والفراض واستخلفه خالد على جيشه في عودته من الفراض إلى الحيرة. وكان ممن وقع اختيار خالد له ليكون معه في الشام ثم تركه استرضاء للمثني. وكان قائد فرسان المسلمين في معركة النمارق وفي مطاردة فلول المجوس بعدها. كذلك شهد السقاطية مع أبي عبيد وطارد فرارهم بعدها، وشهد معه باقسياثا ومعركة الجسر، وكان من أبرز أبطالها وهو شاعر فارس.

-عمرو بن معدي كرب الزبيدي شاعر فارس له غارات في الجاهلية والإسلام وفد على النبي ﷺ في وفد زبيد في العام التاسع غير أنه ارتد في حركة الردة ثم عاد إلى الإسلام وحسن إسلامه.

-المغيرة بن شعبة من دهاة العرب يجيد الكتابة ويتكلم الفارسية وكان من كتبة رسول الله ﷺ. وهو الذي بعثه النبي إلى الطائف لهدم صنم ثقيف.

-المعنى بن حارثة أخ المثني شهد معه مواقعه كلها.

هذا الوفد المنتقى كان النعمان بن مقرن أميراً عليه في مهمة سياسية على أكبر قدر من الحساسية. وخرج الوفد من القادسية على الخيل فانتهوا إلى إيوان كسرى بالمدائن.

إيوان كسرى:

كانت "المدائن" كلمة عربية أطلقها العرب على سبع مدن متجاورة أو متلاصقة على شاطئي دجلة الشرقي والغربي. وكان القصر الأبيض أشهر قصور الساسانيين الذي به الإيوان "أوطاق كسرى" وهو قاعة العرش يقع في أسبانبر إحدى تلك المدائن والإيوان بناه كسرى أنوشروان. خرائب القصر في عصرنا هذا تشمل مساحة 300 × 400 متر. وواجهة الإيوان شرقية يبلغ ارتفاعها 29 متراً عبارة عن حائط بلا نوافذ تزينه الطيقان والأعمدة البارزة المنقوشة والعقود المصفوفة على أربع طبقات. وكانت هذه الواجهة مغطاة بالمصيص الأبيض المنقوش أو بلوحات من الرخام.

وفي وسط الواجهة تشرف القبة البيضاوية الضخمة التي تشمل سمك البناء كله وتغطي بهو الاستقبال الذي تبلغ أبعاده 26×44 متراً. وكان على جانبي هذا البهو خمسة أبهاء أخرى في كل جانب تعلو منها قبة مستديرة. كان الإيوان يفرض الإعجاب بضخامته، قال ابن خرداذبه(45): "ما بناء بالجص والآجر أبهى من إيوان كسرى بالمدائن".

وقف(46) الوفد على باب الإيوان على خيول غير مسرجة ومعهم خيول أخرى قادوها إلى جانبهم ليبدلوا عليها وكلها صهال تصهل واستأذنوا للدخول فتركوا على الباب حتى بعث يزدجرد إلى وزرائه ومستشاريه ليستشيرهم فيما يقول لهم وما يصنع معهم. وجاء أهل المدائن يتطلعون إلى أعضاء الوفد وعليهم المقطعات والبُرُد وفي أيديهم سياط دقاق وفي أقدامهم النعال واجتمعت حولهم جمهرة كبيرة من الناس فكان أهل فارس يسؤهم ما يرون من حالهم وحال خيلهم. ثم أذن يزدجرد بدخولهم.

دخلوا إلى القاعة الكبيرة وقد فرشت بالسجاجيد العظيمة كما كانت سجاجيد أخرى معلقة على الجدران وكانت على الأجزاء العارية منها لوحات من الفسيفساء أعدت بأمر كسرى أنو شروان منها ما يمثل حصار انطاكية وما دار حولها من معارك ظهر فيها كسرى في رداء أخضر يمتطي جوادا أصفر ويستعرض جنود الفرس والروم. لم يكن بالإيوان نوافذ

---

(45) المسالك والممالك.

(46) الطبري 497/3 عن السري عن شعيب عن سيف عن عمرو بن محمد عن الشعبي وطلحة عن المغيرة.

ولكن كان الضوء ينفذ من خلال مائة وخمسين كوة صغيرة في القبة يبلغ قطر إحداها ما بين 12 و15 سنتيمتر وكان العرش في أقصى القاعة يتقدمه ستار بحوالي خمسة أمتار. وكانت قواعد البروتوكول الساساني تقضي بتواجد الحضور في أماكنهم ثم يرفع الستار فيظهر الملك (الشاهنشاه) يجلس على وسادة من الحرير المذهب فوق عرشه في رداء موشى بالذهب وكان التاج الذهبي مطعمًا بالفضة واليواقيت الرمانية وباللؤلؤ الأبيض التي يبلغ إحداها بيض العصافير والزبرجد والزمرد، هذا التاج كان يزن واحدًا وتسعين كيلو جرامًا ونصف ولذلك لم يكن يلبس على الرأس وإنما كان معلقًا في سلسلة من ذهب ذرعها سبعون ذراعًا تتدلى من قمة القبة التي تعلو الطاق، فكان الشاهنشاه يجلس في مجلسه ذاك ثم يدخل رأسه في التاج المعلق.

وكان البروتوكول الساساني يقضي بأنه إذا أذن الملك بدخول أحد أن يغطي فمه وأنفه بقطعة بيضاء نقية من النسيج لمنع أنفاسه من تلويث المكان ولوقاية جلال الملكية، فإذا اقترب من العرش ارتمى على الأرض وظل كذلك إلى أن يؤمر بالوقوف فيقف مادا سبابته اليمنى إلى الأمام وقد كان ذلك تقليدًا للاحترام فإذا أذن له الملك بالكلام بدأ ببعض الأدعية للملك ولم يكن مسموحًا على الإطلاق أن يذكر أحد اسم الملك في خطابه له. ولكن وفد المسلمين لم يتبع هذه التقاليد بطبيعة الحال.

دخل الوفد فأمرهم يزدجرد بالجلوس وقام بينهما الترجمان ثم شرع يسألهم أسئلة تافهة.. ماذا تسمون هذه الأردية؟.. ما تسمون هذه الأحذية؟.. كما سألهم عن السياط التي في أيديهم! ثم قال يزدجرد للترجمان: "سلهم ما جاء بكم وما دعاكم إلى غزونا والولوع ببلادنا؟ أمن أجل أنا أجممناكم وتشاغلنا عنكم اجترأتم علينا؟".

مقالة النعمان(47):

فقال النعمان بن مقرن لزملائه في الوفد: "إن شئتم أجبت عنكم ومن شاء آثرته". فقالوا: "بل تكلم". وقالوا للملك: "كلام هذا الرجل كلامنا" فقال النعمان: "إن الله رحمنا فأرسل إلينا رسولاً يدلنا على الخير ويأمرنا به ويعرفنا الشر وينهانا عنه. ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة. فلم يدع إلى ذلك قبيلة إلا صاروا فرقتين فرقة تقاربه وفرقة تباعده، ولا يدخل معه في دينه إلا الخواص، فمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث، ثم أمر أن ينبذ إلى من خالفه من العرب وبدأ بهم وفعل. فدخلوا معه جميعًا على وجهين مكره عليه فاغتبط، وطائع أتاه فازداد. فعرفنا جميعًا فضل ما جاء به على الذي كنا عليه من العداوة والضيق.

"ثم أمرنا بأن نبدأ بمن يلينا من الأمم فندعوهم إلى الإنصاف. فنحن ندعوكم إلى ديننا وهو دين حسَّن الحَسَن وقبَّح القبيح كله. فإن أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه، الجزاء (الجزية). فإن أبيتم فالمناجزة (الحرب).

---

(47) الطبري 498/3 عن السري عن شعيب عن سيف عن عمرو عن الشعبي.

فإن أجبتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله وأقمناكم عليه على أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم، وإن اتقيتمونا بالجزاء قبلنا ومنعناكم (حميناكم ودافعنا عنكم). وإلا قاتلناكم".

انتهى النعمان من مقالته فأجاب يزدجرد ولعله أن يكون تكلم بما أوصاه به وزراؤه ومستشاروه. قال: "إني لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عددًا ولا أسوأ ذات بين منكم. قد كنا نوكل بكم قرى الضواحي فيكفونناكم.. لا تغزوكم فارس ولا تطمعون أن تقوموا لهم. فإن كان عدد لَحِق (يعني ازداد عددكم) فلا يغرنكم منا، وإن كان الجهد دعاكم فرضنا لكم قوتا إلى خصبكم وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملكنا عليكم ملكًا يرفق بكم!!".

مقالة المغيرة بن زرارة:

كأنما لم يفقه يزدجرد شيئًا مما تكلم به النعمان. وفي الواقع أن النعمان كان كما ذكرنا في المقدمة رجلاً طيبًا دمثا حتى مع عدوه. فسكت الوفد برهة ثم قام المغيرة بن زرارة بن النباش الأسيدي فكان خطيب الوفد. قال: "أيها الملك. إن هؤلاء رؤوس العرب ووجوههم. وهم أشراف يستحون من الأشراف. وإنما يكرم الأشرافَ الأشرافُ ويعظم حقوقَ الأشراف الأشرافُ ويفخم الأشرافَ الأشرافُ. وليس كل ما أرسلوا به جمعوه لك، ولا كل ما تكلمت به أجابوك عليه؛ وقد أحسنوا. ولا يحسن بمثلهم إلا ذلك. فجاوبني لأكون الذي أبلغك ويشهدون على ذلك".

وكأن المغيرة بهذا يعتذر عن أدب النعمان مع الملك بأنه شريف يعظم الأشراف، وأنه لذلك سيتولى هو مخاطبة الملك حتى يبلغه ما جاءوا فيه. واستمر يقول: "إنك وصفتنا صفة لم تكن بها عالمًا. فأما ما ذكرت من سوء الحال فما كان أسوأ حالاً منا.. وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع. كنا نأكل الخنافس والجُعلان والعقارب والحيات فنرى ذلك طعامنا. وأما المنازل فإنما هي ظهر الأرض. ولا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الإبل وأشعار الغنم.. ديننا أن يقتل بعضنا بعضًا ويغير بعضنا على بعض، وإن كان أحدنا ليدفن ابنته وهي حية كراهية أن تأكل من طعامنا. فكانت حالنا قبل اليوم على ما ذكرت لك.

"فبعث الله إلينا رجَلاً معروفًا، نعرف نسبه ونعرف وجهه ومولده، فأرضه خير أرضنا، وحسبه خير أحسابنا، وبيته أعظم بيوتنا، وقبيلته خير قبيلتنا، وهو بنفسه كان خيرنا في الحال التي كان فيها أصدقنا وأحلمنا، فدعانا إلى أمر فلم يجبه أحد، أول من تَرِب كان له (سندًا) وكان الخليفة من بعده. فقال وقلنا وصَدَق وكذَّبنا وزاد ونقصنا. فلم يقل شيئًا إلا كان، فقذف الله في قلوبنا التصديق له وإتباعه، فصار فيما بيننا وبين رب العالمين. فما قال لنا فهو قول الله، وما أمرنا فهو أمر الله. فقال لنا إن ربكم يقول إني أنا الله وحدي لا شريك لي، كنت إذ لم يكن شيء، وكل شيء هالك إلا وجهي وأنا خلقت كل شيء، وإلى يصير كل شيء، وإن رحمتي أدركتكم فبعثت إليكم هذا الرجل، لأدلكم على السبيل التي بها أنجيكم بعد الموت من عذابي، ولأحلكم دار السلام. فنشهد عليه أنه جاء بالحق من عند الحق.

"وقال من تابعكم على هذا فله مالكم وعليه ما عليكم. ومن أبى فأعرضوا عليه الجزية ثم امنعوه مما تمنعون منه أنفسكم. ومن أبى فقاتلوه، فأنا الحكم بينكم، فمن قتل منكم أدخلته جنتي، ومن بقى منكم أعقبته النصر على من ناوأه.

"فاختر إن شئت الجزية عن يد وأنت صاغر، وإن شئت فالسيف، أو تسلم فتنجي نفسك".

لعل المغيرة لم يزد شيئًا عما ذكره النعمان من قبل من حيث المعنى ولكن أسلوبه كان أشد عنفًا – أو أقل طيبة.

جواب يزدجرد:

قال يزدجرد "أتستقبلني بمثل هذا؟!". قال: "ما استقبلت إلا من كلمني، ولو كلمني غيرك لم أستقبلك به!". قال: يزدجرد وقد استبد به الغضب "لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم. لا شيء لكم عندي".

ثم قال لمن عنده من قومه "ائتوني بوقر من تراب".

فلما جاءوا به قال: "احملوه على أشرف هؤلاء ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن".

وقال للوفد "ارجعوا إلى صاحبكم فأعلموه أني مرسل إليكم رستم حتى يدفنكم ويدفنه في خندق القادسية وينكل به وبكل من بعد، ثم أورده بلادكم حتى أشغلكم في أنفسكم بأشد مما نالكم من سابور.. من أشرفكم؟".

فسكت الوفد ثم قام إليه عاصم بن عمرو ليأخذ التراب عن النعمان.

قال: "أنا أشرفهم.. أنا سيد هؤلاء فحمَلنيه". فقال يزدجرد يريد أن يستوثق: "أكذلك؟".

قالوا: نعم. فحمله على عنقه.

ذهبوا بتراب فارس:

خرج الوفد من إيوان كسرى بالتراب حتى إذا أتوا رواحلهم وضعه عاصم أمامه وركب وأسرعوا حتى أتوا سعدًا بالقادسية وسبقهم عاصم. وقال وهو يمر بباب الحصن الذي اتخذه سعد مقرًا له: "بشروا الأمير بالظفر، ظفرنا إن شاء الله" وجعل التراب في حجره ودخل به على سعد فوضعه أمامه وقص عليه ما كان وقصة التراب فتفاءل سعد وقال: "أبشروا فقد والله أعطانا الله أقاليد ملكهم!" وكما تفاءل المسلمون باستلام تراب فارس من ملكهم فقد اشتد تشاؤم الفرس والمجوس من ذلك حتى أنهم خرجوا يشتدون في أثر الوفد ليسترجعوا منه ترابهم فلم يدركوه.

وذهب رستم إلى يزدجرد ليسمع منه ما كان من أمر الوفد، فقال له الملك: "ما كنت أرى أن في العرب مثل رجال رأيتهم.. دخلوا عليّ وما أنتم بأعقل منهم ولا أحسن جوابًا منهم.. "وحكى له ما كان حتى قال: "لقد صدقني القوم، لقد وعد القوم أمرًا ليدركنه أو ليموتن عليه. على أني قد وجدت أفضلهم أحمقهم، لما ذكروا الجزية أعطيته ترابًا فحمله على رأسه فخرج به ولو شاء اتقى بغيره وأنا لا أعلم!" وأدرك رستم ما غاب عن ملكه فقال: "أيها الملك إنه لأعقلهم!".

لقاء بالقادسية:

بعد ذلك تحرك رستم بجيشه الضخم الذي بلغ مائة وعشرين ألف محارب ومثلهم من رجال الخدمات حتى بلغ به القادسية حيث كان سعد وجيشه في انتظاره واصطف الجيشان تجاه بعضهما بعد أن سمح سعد لهم بعبور نهر العتيق إلى الأرض التي اختارها، لقد استطعنا(48) أن نحدد مكان كل قبيلة في الميدان على الخريطة، غير أن مزينة لم تكن ممثلة في تلك الأوضاع بما يسمح لنا بتحديد مكان النعمان وإخوته تحديدًا دقيقًا. غير أننا نلاحظ أن قبائل قحطان شغلت ميسرة جيش المسلمين بينما كان بنو عدنان يشغلون الميمنة والقلب. ولقد كانت الميمنة من ربيعة بينما كانت قبائل مضر في القلب. من ذلك نرى أن الأخوة المزنيين كانوا في قلب جيش المسلمين أمام سعد بن أبي وقاص في مواجهة رستم، وأغلب ظننا أنهم كانوا ضمن القطاع الذي شغلته تميم وأسد. وقد استمرت معركة القادسية أربعة أيام والليلة الأخيرة فيها.

([48]) كتابنا "القادسية".

اليوم الأول - أرماث:

وكان يوم الخميس 13 شعبان 15هـ 19 سبتمبر(49) 636. وقد مرض سعد وأصيب بعرق النسا ودمامل منعته من الركوب فاتخذ مكانه بأعلى الحصن يشرف منه على المعركة ويلقى أوامره إلى جيشه. وفي مواجهة سعد من الطرف الآخر نصبوا لرستم مظلة ووضعوا تحتها سريرًا واتخذها مقرًا له ورفعوا عن يمين المظلة درفش كابيان راية فارس الكبرى. وكان مع رستم ثلاثًا وثلاثين فيلاً وزعها على وحداته فكان مع كل فيل أربعة آلاف من المقاتلين نصفهم من الفرسان ونصفهم من المشاة.

وأمر سعد فطاف كل رئيس قوم في قبيلته يحمسهم ويحرضهم، وقرئت سورة الأنفال على المسلمين فسكت جوارحهم وشرحت صدورهم. وأرسل سعد إلى جنده: "ألزموا مواقفكم.. لا تحركوا شيئًا حتى تصلوا الظهر فإذا صليتم الظهر فإني مكبر تكبيرة، فكبروا وشدوا شموع نعالكم واستعدوا واعلموا أن التكبير لم يعطه أحد قبلكم، واعلموا إنما أعطيتموه تأييدًا لكم. فإذا كبرت الثانية فكبروا وتهيئوا ولتُسْتَتَمّ عدتكم. فإذا كبرت الثالثة فكبروا ولينشط فرسانكم الناس ليبرزوا وليطاردوا. فإذا كبرت الرابعة فشدوا النواجذ على الأضراس واحملوا فازحفوا جميعًا حتى تخالطوا عدوكم، وقولوا لا حول ولا قوة إلا بالله(50)".

([49]) القادسية.

([50]) الطبري 535/3 عن السري على شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم.

وكبر سعد التكبيرة الأولى ثم الثانية ثم الثالثة فخرج أبرز فرسان المسلمين للمبارزة، وخرج لهم من صفوف المجوس من يقابلهم. ثم وجه رستم ثلاثة عشر فيلاً من أفياله ومعها 52000 مقاتل إلى قبيلة بجيلة وحدها وكانت ألفين! وكان موقفها على يسار بني أسد (أيسر الوسط) وفرقت الأفيال بين كتائب بجيلة وتهيبتها خيول المسلمين فترك فرسانها خيولهم وواجهوا هذه القوات المتفوقة رجالاً بشجاعة نادرة.

وأمر سعد بني أسد (3000) أن يدفعوا عن بجيلة. وأبدى طليحة بن خويلد الأسدي صاحب ردة بني أسد –سابقًا- من ألوان البطولة ما أذهل الناس، وكان استبسال بني أسد في الدفاع عن بني بجيلة مثيراً حتى قامت ميسرة المسلمين كلها عن يسار بجيلة تدفع عنها هجوم الفرس. وألقى رستم بمزيد من وحداته إلى القتال المحتدم وجهها إلى بني أسد. هذا في حين كان سائر المسلمين في القلب (عن يمين أسد) وفي الميمنة ينتظرون تكبيرة سعد الرابعة. فلما كبر امتد القتال على طول الجبهة ونشطت فيول المجوس فحملت على الميمنة وعلى الميسرة واستغربتها خيول المسلمين فلم تثبت لها، وكان فرسانها يطلبون من مشاة المسلمين أن يمنعوا ظهورهم ويردوا خيلهم إلى الأمام.

وأمر سعد بني تميم (على يمين أسد) أن تلتحم بالأفيال بغرض إخراجها من المعركة. ووضع عاصم بن عمرو التميمي خطته ثم قادها ونفذها على أساس أن يتجه إلى كل فيل فريق يلتحم به ليشغله ومن يركبه من أمام، في حين يتسلل فريق آخر ليهاجمه من الخلف ليقطع أحزمتها. فلما فعلوا ذلك سقطت عن الأفيال التوابيت التي تحمل المقاتلين والرماة فوقها. وكلما سقط تابوت عمل المسلمون على قتل من فيه حتى تم إخراج الأفيال من الالتحام. ومع المساء عاد كل من المجوس والمسلمين إلى مواقعهم دون نتيجة حاسمة لأي من الطرفين على الآخر. وباتت نساء المسلمين يحرضن أولادهن ورجالهن لمعركة اليوم التالي.

اليوم الثاني - أغواث(51):

أصبح الصباح وقد أخلى المسلمون الميدان من الشهداء والجرحى بينما ترك المجوس قتلاهم جثثًا ملقاة حيث قتلت. وفي هذا اليوم وقبل أن تبدأ معركته بدأت مقدمات جيش خالد تصل من الشام عليها القعقاع بن عمرو، واستمر وصول باقي وحدات الجيش إلى الأيام التالية. هذا الجيش الذي عاد بدون خالد كان عليه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص (ابن أخي سعد). وسر المسلمون كثيرًا لرجوع القعقاع إليهم وتذكروا قول أبي بكر فيه: "لا يهزم جيش فيهم مثل هذا".

(51) الطبري 541/3 – 550.

وتقدم القعقاع بين الصفين يطلب المبارزة فخرج له بهمن جاذويه الذي قاد الفرس في معركة الجسر التي هزم فيها أبو عبيد وقتل. وتبارزا فقتله القعقاع فشرح ذلك صدور المسلمين. ولم يستطع المجوس في هذا اليوم إصلاح توابيت الأفيال التي تكسرت بالأمس فغابت الأفيال عن الميدان. وخرج فرسان المسلمين يبارزون العجم واستمرت المبارزات من الصباح حتى صلاة الظهر ثم تزاحفوا فاقتتلوا حتى منتصف الليل. وعلم القعقاع بما كان من الأفيال بالأمس فقدم ابتكارًا جديدًا بأن ألبس الإبل براقع ذات أشكال مخيفة أرعبت خيول العجم فكان إذا هجم عليهم بها فزعت خيولهم وفرت أمامها كما فعلت خيول المسلمين أمام الأفيال يوم أرماث. وأوشك المسلمون أن يصلوا إلى سرير رستم لولا استماتة أصحابه دونه. وكانت كفة المسلمين أرجح في هذا اليوم فسرى عنهم يوم أرماث.

اليوم الثالث – عماس(52):

جمع المسلمون شهداءهم وجرحاهم وأخلوا منهم الميدان. وكانوا يبعثون بهم إلى العذيب خلف صفوفهم حيث شغلت النساء بحفر القبور وتمريض الجرحى! وتركت عشرة آلاف رمة من جثث المجوس ملقاة بين الصفين فقد كان دينهم يحرم دفن الجثث وإنما كانت تترك لتنهشها جوارح الطير(53).

([52]) الطبري 550/3 – 563.

([53]) الطريق إلى المدائن.

وفي هذا اليوم عادت الأفيال إلى المعركة بعد أن تم إصلاح توابيتها وقد زادوا الحراسة حولها. ووصل هاشم بن عتبة مع الصباح فيمن بقى من جيش خالد، وعادت الأفيال إلى مثل فعلها يوم أرماث ولم يجد المسلمون بدًا من أن يوجهوا فرقهم الخاصة إليها، وقد عمدوا هذه المرة لا إلى تحطيم توابيتها ولكن إلى قطع خراطيمها وطعنها في عيونها. فعلوا ذلك في أكبر فيلين فانطلقا يعويان إلى خلف صفوف المجوس وتبعتهما سائر الأفيال وظلت تعدوا حتى بلغت المدائن!

خرجت الأفيال من المعركة قبل الظهر وتزاحف الصفان في التحام عنيف لليوم الثالث على التوالي، وكان يومًا شديدًا على المسلمين وعلى المجوس على السواء حتى طعنوا في الليل. ثم تحاجز الطرفان في مهلة قصيرة لتجديد تعبئتهم وتسوية صفوفهم والتقاط أنفاسهم.

ليلة الهرير:

خرج فرسان المسلمين مرة أخرى من نفس الليلة يريدون المبارزة كالعادة ولكن أحدا من المجوس لم يخرج إليهم فرموهم بالنبل فلم يزحزحهم ذلك عن مسلكهم، ذلك أنهم قرروا تغيير أسلوبهم ليكون على طريقة الزحف المتراص بدلاً من طريقة الكر والفر، فزحف عليهم القعقاع بن عمرو في جنده دون إذن من سعد، فغفرها له سعد ودعا له بالنصر وأقر له بما فعل ثم لحق بالقعقاع أخوه عاصم في جنده، وراحت فرق المسلمين تزحف فرقة إثر أخرى إلى القتال

وكان ذلك بعد أن صلوا صلاة العشاء. واستمر الالتحام طوال الليل حتى تنفس صباح اليوم الرابع وقد ساد الليل أصوات السيوف كأنما استحال الميدان إلى حي من الحدادين يطرقون حديدهم ولا شيء يسمع غير ذلك سوى هرير المقاتلين، وبذلك سميت ليلة الهرير.

اليوم الرابع - القادسية(54):

طلع الصباح ومازال القتال دائرًا وقد بلغ الجهد من الطرفين وأصبح واضحًا أن النصر لمن صبر. وجمع القعقاع جماعة من أبطال المسلمين فجعل منهم رأس سهم هدفه الوصول إلى رستم، وراحوا يتغلبون على مقاومة حماته الذين استماتوا في إعياء. وزاد ذلك من حماس سائر المسلمين ومن خور سائر العجم. فلما حل الظهر نشطت الريح فاقتلعت مظلة رستم وألقت بها في نهر العتيق خلفه. ورأى رستم اقتراب كتيبة القعقاع من موقعه فقام عن سريره نحو النهر وتبعه المسلمون فلحق به هلال بن علفة وأدركه وقد ألقى بنفسه في النهر فجذبه من رجله حتى أخرجه وضرب جبينه بالسيف ففلقه.

وشرع المجوس في الانسحاب عبر النهر واستطاعت ذلك بعض عناصر الجناح الأيمن أما ميسرتهم فقد قطع المسلمون عليهم خط الرجعة. وحاول بعض المجوس الصمود ولكن وحدات المسلمين المنتصرة، أذالتهم وألقت بثلاثين ألف مقترن بالسلاسل في النهر. وانهارت معنويات الفرس

(54) الطبري 563/3 – 579.

وغشيهم الذل والهوان حتى إن كان الرجل من المسلمين ليدعو الرجل منهم فيأتيه حتى يقف بين يديه وعليه سلاحه كاملاً فيضرب عنقه، وحتى إنه ليأخذ منه سلاحه فيقتله به، وحتى إنه ليأمر الرجلين منهم أحدهما بصاحبه فيقتله والجماعة بالجماعة فيقتلونهم. قال الأسود النخعي: "شهدت القادسية، فلقد رأيت غلامًا منا من النخع يسوق ستين أو -ثمانين رجلاً من أبناء الأحرار- كما كان يطلق على الفرس- فقلت لقد أذل الله أبناء الأحرار".

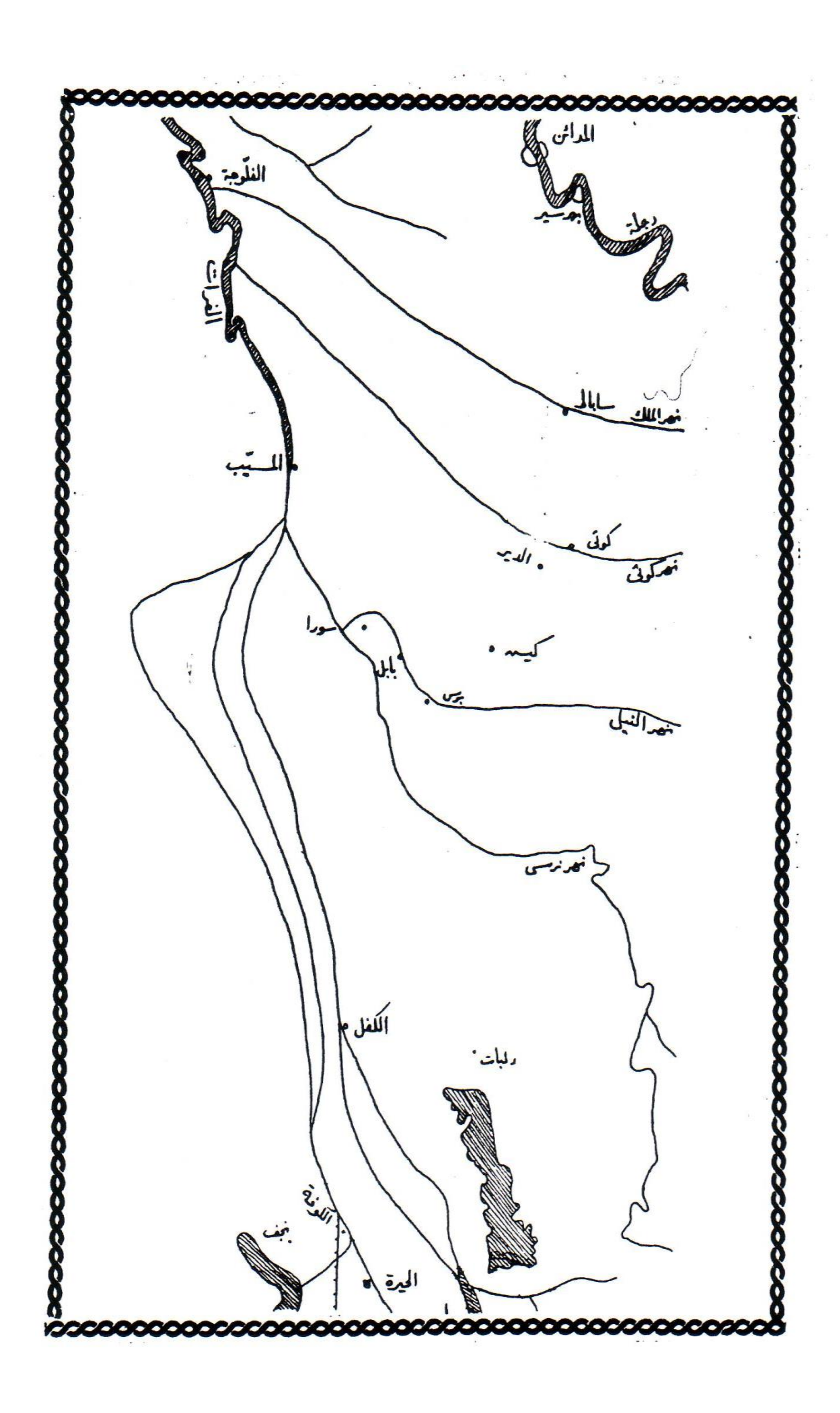
إنتهت المعركة قبل العصر وقد قدم المسلمون في القادسية ثمانية آلاف وخمسمائة شهيدًا. وأمر سعد القعقاع وعاصمًا وشرحبيل بن السمط وزهرة بن الحوية بأعمال المطاردة.. وهنأ سعد المسلمين بالنصر. وأقام المسلمون مهرجان الشعر كعادتهم في أمثال تلك المواقف فقالوا في القادسية الكثير من أعذب شعر الفتوح. وقسمت الغنائم على المجاهدين فكان نصيب الراجل منهم ألفى درهم ونصيب الفارس ستة آلاف.

رسالة النصر:

وكتب سعد إلى عمر: "أما بعد. فإن الله نصرنا على أهل فارس ومنحهم سنن من كان قبلهم من أهل دينهم بعد قتال طويل وزلزال شديد. وقد لقوا المسلمين بعدة لم يرى الراءون مثل زهائها فلم ينفعهم الله بذلك بل سلبهموه ونقله عنهم إلى المسلمين وأتبعهم المسلمون على الأنهار وعلى طفوف الآجام وفي الفجاج.

وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد القارئ (قارئ القرآن) وفلان.. ورجال من المسلمين لا نعلمهم.. الله بهم عالم، كانوا يدوون بالقرآن إذا جنّ عليهم الليل دوى النحل وهم آساد الناس لا يشبههم الأسود. ولم يفضل من مضى منهم من بقى إلا بفضل الشهادة إذ لم يكتب لهم".

وهي المعركة الكبرى الحاسمة في التاريخ خاضها الإخوة المزنيون.


المدائن
الفلوجة
دجلة
بهرسير
الفرات
سابالى
نهر الملك
المسيب
كوثى
الدير
نهر كوثى
سورا
كيسه
بابل
برس
نهر النيل
نهر نرسى
الكفل
رلبات
الكوفة
نجف
الحيرة

إلى المدائن:

على الطريق انتظر سعد بالقادسية شهرين بعد المعركة ثم تقدم بأمر عمر نحو المدائن وكان جيشه يتحرك على شكل طابور يتقدمه زهرة بن الحوية التميمي على قلب الجيش وقد تحول إلى مقدمة وأصحابنا المزنيون فيها، يتبعهم عبد الله بن المعتم على الميمنة، ثم شرحبيل بن السمط على الميسرة، ثم هاشم بن عتبة وقد جعله سعد خليفته، ثم سعد من ورائهم.

وكانت قوة فارسية تعسكر في مكان الكوفة فما أن علموا بزحف المسلمين نحوهم حتى انسحبوا. ونزل زهرة الكوفة ثم أخلاها لعبد الله بن المعتم وتقدم زهرة حتى وصل إلى برس، فكانت مناوشة مع بعض المجوس انهزموا فيها وانسحبوا إلى بابل وبها بعض الفلول المنهزمة من القادسية، وتحرك ابن المعتم ومن ورائه شرحبيل ثم هاشم ثم سعد نحو زهرة في برس، فتحرك زهرة إلى بابل ومن ورائه ذلك القطار. وفي بابل كانت معركة صغيرة انهزم فيها العجم وافترقوا، فاتجهت فرقة نحو المدائن واتجهت أخرى نحو الأهواز واتجهت ثالثة إلى نهاوند في عمق فارس.

وعاود قطار المسلمين زحفه في أثر الفلول على طريق المدائن فالتفت طلائع المسلمين بمؤخرات المجوس في كوثي فهزموهم بعد مبارزة سريعة وواصل القطار المبارك مسيرته حتى إذا كانوا بمكان يعرف بمظلم ساباط من ضواحي ساباط على ثلاثين كيلو متراً من المدائن التقوا بفرقة من الحرس الملكي ألقى المجوس بها إلى المعركة بعد هلاك قواتهم لتعوق تقدم المسلمين

إلى أن يجمعوا قوات جديدة من عمق فارس.. وزودوا تلك الفرقة بأسد كانوا قد روضوه فأطلقوه على المسلمين في المعركة، ونزل هاشم بن عتبة عن فرسه وتصدى له حتى ناله بسيفه فضربه وقتله، وانهزم المجوس كعادتهم. ثم تقدم المسلمون إلى بهر سير إحدى المدائن السبع -أو المدائن الدنيا كما كانوا يسمونها- وهي على الجانب الغربي من نهر دجلة في مقابلة أسبانبر وطيسفون على الضفة الأخرى وإلى الجنوب منهما، وفي أسبانبر كان إيوان كسرى.

معركة بهر سير:

اعتصم الفرس بأسوار بهر سير وأبوابها فوقف سعد بجيشه أمامها واستصنع بعض الدبابات "كانت عربات من الخشب المكسو من الجلد يختفون تحتها ويقتربون بها من الأسوار لينقبوها" وعشرين منجنيقًا نصبها حول أسوار بهر سير وظل يقصفهم بها شهرين. وفي يوم رأى المسلمون الفرس يعبرون دجلة من بهر سير إلى أسبانبر وطيسفون، ثم خرج إليهم رجل يطلب الأمان فأمنوه فأخبرهم أنه لم يبق في بهر سير أحد. وتسور جند سعد الأسوار ودخلوا المدينة ليلاً فلم يجدوا بها أحدا وتقدموا خلالها حتى بلغوا نهر دجلة وتطلعوا في ظلال الليل إلى الضفة الأخرى فوقع بصر ضرار بن الخطاب القرشي على القبة البيضاء الضخمة للإيوان تشمخ فوق أشجار بساتينه الوارفة فما تمالك نفسه أن صاح.

"الله أكبر. أبيض كسرى. هذا ما وعد الله ورسوله!".

سبحان الله وبحمده.. ولا غرو أن يتذكر ضرار والنعمان وإخوته وسلمان الفارسي وسعد وآخرون كثيرون غزوة الخندق حين وعد رسول الله ﷺ المسلمين بفتح حصون الحيرة وقصور المدائن. كان النعمان وسلمان معا في جماعة واحدة يحفران الخندق ويحملان التراب وكان الإخوة المزنيون كذلك يحفرون وكان سعد وكثير ممن شهدها، وبعد أن فرغوا من حفره وقفوا خلفه يدافعون عن دينهم وعن مدينتهم وعن نسائهم وأولادهم وأنفسهم ذلك العدوان الزاحف عليهم. وعلى الضفة الأخرى من الخندق كان ضرار بن الخطاب من رؤوس قريش وقادتها جاء يقود بعض فرقها ليقتحم المدينة ويذبح المسلمين! ثم هو اليوم من رؤوس كتائب الإيمان جاء يقود بعض فرقها ليقتحم المدائن ويذبح المجوس!!.. واستمر تدفق المسلمين حتى انتقل معسكرهم إلى داخل بهرسير. هذا وقد جمع المجوس سفنهم معهم إلى الشاطئ الآخر واعتصموا بنهر دجلة العريض.

سقوط المدائن:

وقف المسلمون يفكرون كيف يعبرون. إن النهر عريض واسع والجسر الذي كان قائمًا خربوه، والسفن أحرزوها وضموها إلى جانبهم. ثم فاجأهم الفيضان فجاء مبكرًا من عامه ذاك. كان ذلك في شهر صفر 16 مارس 637. هذا وقد راح يزدجرد ينقل أمواله وكنوزه إلى النهروان وإلى حلوان. ونام سعد وهو يفكر فرأى في منامه أن خيوله تقتحم دجلة وهو في فيضان عظيم فتعبره. وصحا سعد يفكر فيما رأى فوجده مقبولاً مستساغا، فالخيل تعوم في الماء، وعزم عليه!

تطوع عاصم بن عمرو التميمي وستمائة من المسلمين ليكونوا كتيبة الأهوال التي تبدأ العبور وتحمي عبور المسلمين الذين صاروا ستين ألفًا كلهم من الفرسان واقتحمت الكتيبة النهر ومياهه تتلاطم في فيضانه وسبحوا بخيلهم تجاه الشاطئ الآخر حيث وقف جيش الفرس مبهورًا ينظر. ودفع الفرس فرسانهم أيضًا إلى عرض النهر لملاقاة كتيبة الأهوال. واستخدمت الكتيبة الرماح فطعنوا بها في عيون خيل المجوس فاستدارت نحو شاطئها فنخسوها من خلفها فاندفعت بركبانها إلى شاطئ أسبانبر والمسلمون يتعقبونهم من خلفهم حتى خرجوا جميعًا من الماء ودارت المعركة على الشاطئ.

ومن الجانب الآخر رأى سعد والمسلمون الدائرة تدور على الفرس الذين أخذتهم المفاجأة، ونزل المسلمون بخيلهم إلى الماء حتى غطوا صفحة النهر وكانوا مثني مثنى وهم يعبرون يتحدثون. كان سلمان قرين سعد وسعد يقول: "ذلك تقدير العزيز العليم.. حسبنا الله ونعم الوكيل.. والله لينصرن الله وليه. وليظهرن الله دينه، وليهزمن الله عدوه إن لم يكن في الجيش بغي أو ذنوب تغلب الحسنات".

وتم العبور دون أن يقع فيه حادث ذو بال.

وفزع يزدجرد في قصره فولى الأدبار من بعض شرفات القصر وانطلق إلى حلوان ليلحق بنسائه، وانسحب معه ألف طباخ وألف مطرب وألف فهاد "مدرب حيوانات" وألف بازيار وغيرهم(55). أما غير يزدجرد فقد أعجلوا من أن يحملوا معهم كثيرًا من أموالهم ومتاعهم فتركوها غنائم للمسلمين وكانت شيئًا يفوق الحصر.

وسارت كتيبة الأهوال في شوارع أسبانبر الخاوية من الناس على رأسها عاصم بن عمرو تتبعها الكتيبة الخرساء يقودها إخوة القعقاع بن عمرو ومن ورائهم فرسان المسلمين جميعًا حتى بلغوا القصر الأبيض الذي به الإيوان المقر الرسمّي للحكم الساساني. وأقبل سعد نحوه وهو يردد قوله تعالى: "كم تركوا من جنات وعيون، وزروع ومقام كريم، ونعمة كانوا فيها فاكهين، كذلك وأورثناها قومًا آخرين".

وكان في القصور بقية من الفرس عرض عليهم المسلمون الإسلام أو الجزية أو القتال، وأمهلوهم ثلاثة أيام. وفي آخرها نزل المحاصرون على الجزية وخرجوا من القصر فدخله سعد وصلى في الإيوان صلاة الفتح واتخذ من الإيوان مصلى وهو ملئ بالصور والتماثيل لم يحركها من مكانها. وأقام المسلمون بالمدائن فكانت أول جمعة أقيمت بها على ما قدرنا هي 26 صفر 16هـ 28 مارس 637.

([55]) إيران في عهد الساسانيين 485.

الغنائم:

وأطلق سعد قوات المقدمة لمطاردة الذين فروا من المدائن يحملون ما خف وزنه وغلا ثمنه. وكل سعد أمر الغنائم والأقباض إلى أحد أبناء الأسرة المزنيين أبناء مقرن وهو عمرو بن عمرو بن مقرن المزني. ولا شك أن هذا الاختيار كان يعني فيما يعني أنه كان يقرأ ويكتب. وأمره سعد أن يجمع ما في القصر الأبيض والإيوان وكافة دور المدائن وكل ما تأتي به قوات مطاردة الفارين، وإحصاء ذلك كله.

يقول الرواة: "فما أفلت أحد منهم بشيء ولا بخيط إلا ما كان في معسكر مهران بالنهروان". وهو ما كان يزدجرد قد شرع ينقله مذ سقطت بهرسير قبل اقتحام المسلمين إلى المدائن. ولدينا الشيء الكثير مما رواه الرواة عن ما تم جمعه من غنائم وهو يفوق الخيال. وقد بدءوا بجمع ما في القصر الأبيض ومنازل كسرى ثم سائر دور المدائن ثم ما جاءت به قوات المطاردة وقد غنموا كثيراً من التحف وآنية الذهب والفضة والكافور وحلي كسرى وثيابه ووشاحه ودرعه المطعم بالجوهر وتاج كسرى الذي كان معلقًا في إيوانه –وقد أوردنا وصفه سابقًا- ودروع وأسياف هرقل وخاقان وداهر وبهرام جوبين وسياوخش والنعمان بن المنذر وكانوا قد استلبوها سابقًا من أصحابها في بعض الحروب أو المناسبات، وكذا سيف كسرى أنو شروان وهرمز الرابع بن كسرى وشيرويه الذي غزا خالد العراق في عهده وسيف فيروز من ملوكهم وقال الشعبي الفقيه المعروف: "أخذ المسلمون يوم المدائن جواري من جواري كسرى جئ بهن من الآفاق فكن يُصَنَّعْن له، فكانت أمي إحداهن!"(56).

([56]) فتوح البلدان 652.

وقال جابر بن عبد الله(57): "والله الذي لا إله إلا هو ما أطلعنا على أحد من أهل القادسية أنه يريد الدنيا مع الآخرة. ولقد اتهمنا ثلاثة نفر "من ستين ألفًا" فما رأينا كالذي هجمنا عليه من أمانتهم وزهدهم.. طليحة بن خويلد وعمرو بن معدي كرب وقيس بن المكشوح".

قد بلغت تلك الأنفال من الكثرة حدًا جعل سعدًا يخصص عمرو بن عمرو بن مقرن للأقباض فقط.. استلامها وتسجيلها، أما قسمتها وتوزيعها والتصرف فيها فقد وكل أمره إلى سلمان بن ربيعة الباهلي.

الحكم والإدارة:

تم هذا النصر الباهر للمسلمين بعد أن سقطت عاصمة تلك الإمبراطورية المرعبة في أيديهم، فجعل عمر لسعد إمامة الصلاة وشئون الحرب لكل ما غلب عليه. كذلك ولى خراج ما سقى دجلة النعمان بن مقرن وخراج ما سقى الفرات سويد بن مقرن المزني. ولا شك أنها كانت مسئولية مدنية ومالية جسيمة لكل منهما، ما كان عمر ليضعها في أيديهما لولا ثقة منه في أمانتهما وفي كفايتهما لقيامهما بها في عدالة وضبط. وسبحان مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء، فمن كان يظن أن أولئك البدو الذين ولدوا بجبال البادية يبلغون ما بلغوا من قيادة الجيوش وعز الدنيا ورضوان الله؟ ولكنه هذا الدين.

([57]) الطبري 19/4 عن السري عن شعيب عن سيف عن مبشر بن الفضيل عن جابر بن عبد الله.

حشود أخرى:

بعد سقوط المدائن اتخذ يزدجرد حلوان عاصمة له وكانت على حوالي 220 كيلو مترًا إلى الشمال الشرقي من المدائن. وتمركزت جموع المجوس في جلولاء على الطريق إلى حلوان، وكانت عناصر من المنسحبين من المدائن ومن الإمداد التي تم جمعها من كل مكان. وفي نفس الوقت جاءت قوات أخرى من الموصل "بالشمال" فعسكرت في تكريت على نهر دجلة. ثم كان هرمزان في الأهواز "بعيدًا نوعًا إلى الجنوب الشرقي" منذ انسحب بعد معركة بابل.

وقد واجه عمر تلك الحشود بقوات حددها لسعد، فجعل:

1- هاشم بن عتبة والقعقاع بن عمرو لقطاع جلولاء ومعهما سعد بن مالك وعمرو بن مالك وعمرو بن مرة الجهني. وهي القوات التي شغلت من وسط جيش المسلمين إلى أقصى ميسرته في القادسية.

2- عبد الله بن المعتم على القوات التي شغلت ميمنة المسلمين من قبائل ربيعة في القادسية لقطاع تكريت.

3- قطاع الأهواز كان بعيدًا نوعًا ولم يكن متحركًا في ذلك الوقت، فأرجأ التعامل معه بعض الوقت لحين الفراغ من جلولاء ومن تكريت.

فأين كان النعمان وإخوته من ذلك؟ ذكرنا أن النعمان وسويدًا خرجا لمزاولة مسئوليتهما الجديدة بشأن تنظيم وجمع خراج ما سقى دجلة والفرات فهما قد شغلا إذًا بهذه الوظائف الإدارية حينا عن الجهاد بالسيف أما سائر الإخوة فلا تسعفنا المصادر عنهم بشيء في هذه التوزيعات وهم إذا لم يكونوا أعوانًا للنعمان وسويد فيما وكل إليهما فنرجح أنهم كانوا فيمن بقي مع سعد بالمدائن أو في جيش جلولاء مع هاشم والقعقاع وقبائل بني عدنان، لذلك فلن نعرض لتلك المعارك بتفاصيلها حتى لا نخرج عما نحن بسبيله من تتبع الإخوة الأبرار رضي الله عنهم.

معركة جلولاء(58):

كان هاشم على خمسة عشر ألفًا وقد اعتصم المجوس خلف استحكامات أقاموها من الخنادق وحقول من حسك الحديد وخوازيق الخشب. وكان المجوس يخرجون إلى المسلمين في زحوف بلغت ثمانين زحفًا على مدى سبعة أشهر، فإذا انهزموا رجعوا إلى مواقعهم خلف استحكاماتهم. وفي الزحف الأخير التحم بهم المسلمون ولم يتحاجزوا عنهم فلما أرادوا الانسحاب إلى الاستحكامات لزمهم المسلمون وغلبوهم على خوازيق الخشب وسقط المجوس في خندقهم فدخله المسلمون عليهم. واستمرت المعركة ليلاً حتى ذكر الرواة أن قتلى المجوس بلغوا مائة ألف. وقد تم فتح جلولاء في أول ذي القعدة 16هـ 24 نوفمبر 637، واقتحم المسلمون بعدها حتى حلوان فخرج يزدجرد منها هاربًا إلى ما وراءه من اتساع دولته بعد مقاومة يسيرة من بعض قواته خارج حلوان.

---

(58) الطبري 24/4 – 25.

معركة تكريت(59):

وقاد عبد الله بن المعتم خمسة آلاف إلى تكريت فحاصرها أربعين يومًا وكانت قد تجمعت بها حشود من الفرس والروم وأعراب الجزيرة الموالين وأغرى عبد الله بعض أولئك الأعراب بالانضمام إليه، فلما رأوا أن الروم بدأوا ينسحبون وينفضون عن المعركة استجابوا لعبد الله فطلبوا الأمان فعرض عليهم الإسلام فأسلموا. ثم اقتحم عبد الله من جهته وتلك القبائل -من بني تغلب وإياد والنمر- من جهتها تكريت على الفرس فسقطت في جمادي الأولى 16هـ يونيه 637.

بقى ابن المعتم في تكريت مع ألف من جيشه وبعث ربعي بن الأفكل العنزي في باقيه وكذا القبائل حديثة الإسلام التي انضوت إليه، أرسلهم شمالاً ففتحوا حصني الموصل ونينوي على جانبي نهر دجلة.

كذلك بعث سعد جيشًا آخر يقوده عمر بن مالك ففتح هيث وقرقيسياء على الفرات شمالاً، وسير جيشًا آخر شرقًا يقوده ضرار بن الخطاب القرشي ففتح ما سبذان من أرض إيران.

---

(59) الطبري 35/4 – 37.

الأبلة والبصرة:

في ذي القعدة 15هـ ديسمبر 236 حين انهزم المجوس أمام جيش سعد في بابل على الطريق إلى المدائن، تفرقت وحداتهم في عدة وجوه كما ذكرنا في موضعه، وانسحب هرمزان بجنده نحو موطنه الأصلي -الأهواز- وكان ذلك لأن عمر أراد أن يفتح على المجوس أكثر من جبهة ليشتت قواهم عن المعركة الأساسية لفتح المدائن، فأرسل عتبة بن غزوان المازني إلى قطاع البصرة في قوة صغيرة يذكر الرواة أنها كانت خمسمائة، ولكنه استطاع أن يجمع من قبائل المسلمين القريبة من المنطقة ما عزز به قواته، وسقطت الأبلة بين يديه. ولكن المسلمين العرب الذين لم يألفوا سكنى المدن الكبيرة المؤسسة لم ترق لهم الإقامة في الأبلة فأنشأوا البصرة.

واستمرت هذه القوة في نشاطها في تطهير المنطقة بين شط العرب وبين ما فتح سعد من سواد العراق في طريقه إلى المدائن، واستمرت الأمداد تتوالى عليها حتى صارت جبهة لها خطرها. وكان هرمزان في الأهواز يواجه قطاع عتبة من وراء شط العرب ونهر دجلة. وكان نشاط هرمزان يتجه إلى شن غارات من جهتين، من نهر تيرى إلى ميسان "جهة العمارة" ومن مناذر إلى دست ميسان "جهة البصرة".

بعد المدائن:

الكوفة(60): لاحظ عمر تغير ألوان المسلمين منذ نزلوا المدائن، ذلك أن طبيعة المدائن كمدينة مشجرة على شاطئ نهر تختلف عما ألفه المسلمون العرب من عيش الصحراء، وحين تحرى أسباب ذلك جاءه الجواب بأنها وخومة البلاد فطلب من سعد أن يبحث عن مكان يناسب سكنى العرب بدلاً من المدائن ويبدو أن ذلك كان معاصرًا لإقامة البصرة. وتم اختيار مكان الكوفة فأقاموا عليه حاضرتهم، بل قاعدتهم الحربية التي اجتمعت بها قوتهم الحربية.

فتح الأهواز:

طلب عتبة بن غزوان المدد من سعد ليواجه هرمزان فأمده بنُعَيمُ بن مقرن المزني أحد الإخوة أبناء مقرن، ويبدو أن نُعَيْمًا كان ترتيبه الثاني بعد النعمان من حيث مكانته بين الإخوة، كما أمده بنُعَيْم بن مسعود الذي اشتهر خبره في الوقيعة بين يهود بني قريظة وبين قريش والأحزاب في غزوة الخندق. وأمرهما سعد أن يسلكا أعلى ميسان ودست ميسان حتى يكون بين عتبة وبين نهر تيرى. وفي نفس الوقت بعث عتبة سلمى بن القين وحرملة بن مريطة التميميين إلى نفس المنطقة فنزلا حدود ميسان ودست ميسان من جهته بين نعيم بن مقرن ونعيم بن مسعود وبين مناذر.

---

(60) الطبري 40/4 – 48.

كان هرمزان بين نهر تيرى ودلث. وكان سلمى بن القين على جيش البصرة ومعه حرملة في قواته، وكان نعيم بن مقرن على جيش الكوفة ومعه نعيم بن مسعود في قواته. وقاموا جميعًا في توقيت واحد حتى التقوا بهرمزان في معركة في حين اتجهت بعض قواتهم فاستولت على مناذر وعلى مواقع أخرى لهرمزان على نهر تيرى فانهزم هرمزان وقتل كثير من جنده وانسحب حتى نهر دجيل (نهر كارون الآن) وعبر جسر سوق الأهواز فأقام على رأسه من الجانب الآخر، واستولى المسلمون على ما انسحب منه حتى بلغوا الجسر من جهتهم.

صلح وانتقاض وصلح:

وطلب هرمزان الصلح فصالحه عتبة بن غزوان على الأهواز ومهرجان قذق إلا ما غلب عليه المسلمون من سوق الأهواز فقد صار لهم. وجعل سلمى على مناذر وجعل حرملة على نهر تيرى. وهنا يختفي من المصادر نعيم ونعيم، وربما كان معنى هذا أن مهمة جيش الكوفة قد انتهت وأنه عاد إلى قواعد اكتفاء بجيش البصرة في ذلك الميدان.

غير أن هرمزان ما لبث أن أثار خلافًا على الحدود الفاصلة بينه وبين المسلمين واستعان بالأكراد وجلب أمدادًا منهم ونقض صلحه. وأمد عمر عتبة بن غزوان بحرقوص بن زهير. وعبر المسلمون قنطرة سوق الأهواز إلى هرمزان واقتتلوا فهزموه، وتراجع حتى اجتاز قنطرة أربك وصعد إلى رامهرمز. وتعقبته قوات المسلمين تستولي على ما في طريقها.

وعاد هرمزان يطلب الصلح من جديد فأمرهم عمر أن يقبلوا منه فصالحوه على ما لم يفتحوا من رامهرمز وتستر وسوس وجندي سابور والبنيان ومهرجان قذق.

ميادين أخرى:

وفي عام 17هـ(61) تم فتح الجزيرة على يدي عياض بن غنم وكان فتحًا سهلاً. وأراد عمر الوقوف بالفتوح عند تلك الحدود سواء في قطاع الكوفة أو في قطاع البصرة، وكانت مسئولية الفتح قد تقسمت بين القاعدتين.

النعمان في فتح الأهواز:

أراد يزدجرد(62) أن يأمن على نفسه فذهب إلى مرو بأقصى مملكته على حدودها الشرقية الشمالية وبعث بقوات جديدة إلى تستر بالأهواز. وبلغت تلك الأنباء إلى عمر فكتب إلى سعد أن يبعث جندًا كثيفًا من الكوفة إلى الأهواز بقيادة النعمان بن مقرن المزني. وأن يبعث بقوات أخرى مع سويد بن مقرن المزني وعبد الله بن ذي السهمين وجرير بن عبد الله الحميري وجرير بن عبد الله البجلي ليكونوا تجاه هرمزان حتى تتضح وجهته ونواياها. كذلك كتب إلى أبي موسى الأشعري -وكان وقتها على البصرة- أن يبعث منها جندًا إلى الأهواز بقيادة أبي سبرة بن أبي رهم.

---

(61) طبقًا لرواية سيف. أما ابن اسحق فيذهب إلى أن فتح الجزيرة كان عام 19هـ.

(62) الطبري 72/4 – 77.

وسار النعمان من الكوفة مستعرضًا سواد العراق حتى اجتاز ميسان وعبر نهر تيرى ومناذر وسوق الأهواز واستجاب هرمزان لنداء يزدجرد فنقض ما بينه وبين المسلمين مرة أخرى وبادرهم بالهجوم فالتقى بالنعمان في أربك فهزمه النعمان وأرغمه على إخلاء رامهرمز والتراجع إلى تستر حيث جاءت أمداد يزدجرد واستولى النعمان على رامهرمز ثم على إيذج.

أحرز النعمان هذه الانتصارات بجيشه وكان جيش البصرة ما زال في سوق الأهواز في طريقه إليه -فلما بلغتهم هذه الأنباء تحولوا نحو تستر ولحق بهم النعمان في جيشه. كذلك جاء سلمى وحرملة وحرقوص وجزء بن معاوية ثم سار إليهم أبو موسى الأشعري فكان على جيش البصرة كله وكان النعمان على جيش الكوفة واجتمعت قيادة الجيشين معًا إلى أبي سبرة بن أبي رهم.

كانت تستر(63) مدينة حصينة فحاصرهم المسلمون شهورًا خرج المجوس خلالها ثمانين مرة لمصادمة المسلمين لم يكن فيها نصر حاسم لأحد الطرفين وإنما تداول المسلمون والمجوس التفوق فيها. وجدت في آخرها أن كانت الغلبة لجند هرمزان على المسلمين وكان فيهم البراء بن مالك، وتذكر المسلمون قول رسول الله ﷺ: "رب أشعث أغبر لا يؤبه له لو أقسم على الله عز وجل لأبره، منهم البراء بن مالك!" فلجأوا إليه يطلبون دعاءه. ورفع البراء يديه إلى السماء وقال: "أقسم عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وألحقني بنبيك"(64).

([63]) الطبري 83/4 عن السري عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو.

([64]) أُسد الغابة 391.

فاكتشف المسلمون مدخلاً إلى المدينة من جهة النهر أرشدهم إليه أحد المجوس مقابل أن يؤمنوه، فتسللوا منه ليلاً واقتحموا تستر فسقطت في أيديهم وحصر هرمزان في قلعتها فلم يجد منها مخرجًا، وقد قتل بنفسه في هجوم المسلمين عليه مجزأة بن ثور وصاحب الدعاء المستجاب البراء بن مالك وأخيراً استسلم هرمزان على أن يكون أمره إلى عمر، فشدوا وثاقة، واستطاعت بعض حامية تستر أن تفر إلى السوس فطاردهم أبو سبرة والنعمان بن مقرن وأبو موسى الأشعري وقد حملوا هرمزان معهم حيث كان يقود حامية السوس أخوه شهريار.

فتح السوس(65):

حاصر المسلمون السوس ووقعت مصادمات بينهم وبين المجوس المدافعين أصاب فيها المجوس من المسلمين. وجاءت الأخبار بأن جموعًا كبيرة جديدة تحتشد إلى الشمال في نهاوند. واعتلى القسيسون والرهبان أسوار السوس وصاحوا بالمسلمين يقولون: "يا معشر العرب لا تعنوا بحصارنا فإنه لا يفتحها إلا الدجال أو قوم معهم الدجال". حتى غاظوا المسلمين فرأوا أن يبادروا بشن هجومهم قبل أن يستفحل أمر حشود نهاوند ويضطرون إلى تفريق قواتهم، وفي هجومهم هذا تمكنوا من اختراق دفاعات المدينة فبادر أهلها يطلبون الصلح والأمان. وأرسل أبو سبرة هرمزان أسيراً مع وفد من المسلمين فيهم أنس بن مالك أخ البراء وصاحب رسول الله ﷺ وفيهم الأحنف بن قيس والمغيرة بن شعبة.

(65) الطبري 89/4 – 93.

فتح جندي سابور(66):

وسار النعمان بن مقرن بجيشه شمالاً على طريق نهاوند حتى نزل على مياه في حين بعث أبو سبرة المقترب الأسود بن ربيعة إلى جندي سابور وانضم بها إلى زربن عبد الله بن كليب. ولحق بهم أبو سبرة فأقاموا على المدينة يصادمون حاميتها. ثم فوجئوا بالمدينة تفتح أبوابها ويخرج أهلها بمواشيهم وقد نصبوا أسواقهم وكأنهم ليسوا في حرب، وسألهم المسلمون إيضاحًا فقالوا: "رميتم إلينا بالأمان فقبلناه وأقررنا لكم بالجزية على أن تمنعونا" فأنكر المسلمون أن يكون ذلك حدث منهم، وقال الآخرون: "ما كذبنا"!

وتحرى المسلمون الأمر فوجدوا عبدًا مسلمًا بينهم كان من جندي سابور أصلاً هو الذي كتب لهم الأمان وقذفه نحوهم من معسكر المسلمين. وعاد المسلمون يقولون: "إنما هو عبد" واحتج أهل جندي سابور بأنهم لا يعرفون الحر من العبد وأنهم يتمسكون بقبول الأمان فإن شاء المسلمون الغدر فليغدروا، وكف المسلمون عنهم حتى عرضوا القضية على عمر فكتب عمر: "إن الله عظم الوفاء، فلا تكونون أوفياء حتى تفوا.. ما دمتم في شك أجيزوهم وفوا لهم".

---

(66) الطبري 93/4 – 95.

الباب الرابع

نهاوند

نهاونـد

حشد جديد:

كانت معركة نهاوند من أبرز معارك الفتوح بعد القادسية. كما كانت قمة تألق بطلنا النعمان. فقد كان يزدجرد مازال مقيمًا في مرو يحرض المجوس في شتى بقاع مملكته ويحشدهم ويحشرهم إلى الحرب ويقذف بهم في مواجهة حركة الفتح. وقد صاحب تلك الفتوح كثير من الغنائم والأنفال التي عادت على المسلمين بأرزاق ومكاسب مادية نقدية وعينية ضخمة حتى خشي عمر على قلوبهم من انفتاح الدنيا عليهم. يحكي الرواة: أنه حين وضعت أنفال جلولاء -والأنفال خمس الغنائم- حين وضعت أمامه بالمسجد وسقطت عليها أشعة الشمس لمع ما فيها من فضة وذهب وجوهر وكان كثيراً فانهمرت دموع الخليفة الصالح حتى قال له عبد الرحمن بن عوف: "ما يبكيك يا أمير المؤمنين فوالله إن هذا لموطن شكر؟". قال عمر وهو مازال يبكي: "والله ما ذاك يبكيني. وتاالله ما أعطى الله هذا قومًا إلا تحاسدوا وتباغضوا، ولا تحاسدوا إلا ألقى بأسهم بينهم!" ثم كان بود عمر أن يكتفي بما فتح الله عليه فلا يفتح بعده، فقال: "لوددت أن بين السواد وبين الجبل سدًا لا يخلصون إلينا ولا نخلص إليهم، حسبنا من الريف السواد".

ولكن يزدجرد كان يريد استرداد ما فقد من ملكه فاستمر يحشد الجيوش ويبعثها بعثًا وراء بعث، وكلما انهزم منها جيش انفتح ما وراءه فغزاه المسلمون ثم كانت حشود نهاوند أكبر وآخر ما كان من ذلك. وكتب سعد إلى عمر بذلك غير أنه حدث أن عزل عمر سعدًا عن ولاية العراق لأسباب تخرج عن نطاق بحثنا، فقدم سعد المدينة على عمر وتحدث معه بشأن جموع العجم بنهاوند. ولما علم عمر أن تلك الجموع بلغت مائة وخمسين ألفًا فكر أن يسير إليهم بنفسه. وثارت المناقشة بين الصحابة في مسجد الرسول ﷺ بين مؤيد ومعارض حتى انتهى عمر إلى أن يبقى بالمدينة وأن يبعث على جيشه إلى نهاوند رجلاً قال فيه: "أما والله لأولين أمرهم رجلاً ليكونن لأول الأسنة إذا لقيها غدًا!".

قالوا: "من يا أمير المؤمنين؟".

قال: "النعمان بن مقرن المزني".

فجاءه جواب صحابة رسول الله ﷺ: "هو لها".

النعمان أين كان؟

فرغ النعمان من عمليات الأهواز في أربك ورامهرمز وتستر والسوس وجندي سابور على النحو الذي ذكرنا في موضعه، فاستعمله سعد بن أبي وقاص قبل عزله على خراج كسكر (وهو ما سقى دجلة) وهو العمل الذي كان يقوم به قبل قيامه بعمليات الأهواز، كما عاد سعد يستعمل أخاه سويد بن مقرن على خراج ما سقى الفرات. وهو في عمله ذاك كتب(67) النعمان إلى عمر يشكو استعماله على جباية الخراج وذكر أنه يحب الجهاد ويرغب فيه.

"مثلى ومثل كسكر كمثل رجل شاب إلى جنبه مومسة تلون له تعطر فأنشدك الله لما عزلتني عن كسكر وبعثتني إلى جيش من جيوش المسلمين(68)". وكتب سويد بن مقرن إلى عمر بمثل ما كتب به النعمان فكأنما اتفقا، فإن لم يكونا قد اتفقا على ما كاتبا به فقد اتفقا في المزاج وتشابه قلباهما.

وكتب عمر إلى النعمان مع زر بن كليب والمقترب الأسود بن ربيعة: "بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى النعمان بن مقرن

([67]) الطبري 114/4 عن ابن حميد عن سلمة عن ابن اسحق.

([68]) الطبري 126/4 عن السري عن شعيب عن سيف عن أبي وائل.

سلام عليك فأني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد.. فإنه قد بلغني أن جموعًا من الأعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند. فإذا أتاك كتابي هذا فسر بأمر الله، وبعون الله، وبنصر الله، بمن معك من المسلمين. ولا توطئهم وعرا فتؤذيهم ولا تمنعهم حقهم فتكفرهم، ولا تدخلنهم غيضة، فإن رجلاً من المسلمين أحب إليّ من مائة ألف دينار(69). فسر من وجهك ذلك حتى تأتي ماه، فإني قد كتبت إلى أهل الكوفة أن يوافوك بها. فإذا اجتمع لك جنودك فسر إلى فيرزان (قائد حشود يزدجرد بنهاوند) ومن تجمع إليه من الأعاجم من أهل فارس وغيرهم. واستنصر الله وأكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله والسلام عليك".

كما كتب إلى عبد الله بن عبد الله بن عتبان الذي خلف سعدًا على الكوفة: "استنفر من أهل الكوفة مع النعمان كذا وكذا (ثلثي جيش الكوفة) فإني قد كتبت إليه بالتوجه من الأهواز إلى ماه. فليوافوه بها وليسر بهم إلى نهاوند. وقد أمرت عليهم حذيفة بن اليمان حتى ينتهي إلى النعمان بن مقرن. وقد كتبت إلى النعمان إن حدث بك حدث فعلى الناس حذيفة بن اليمان، فإن حدث بحذيفة حدث فعلى الناس نعيم بن مقرن.

كذلك أرسل عمر جندًا من البصرة عليهم أبو موسى(70) الأشعري تحت إمرة النعمان.

([69]) الطبري 114/4 عن ابن اسحق.

([70]) فتوح البلدان 771.

تقدم حذر:

بعث عمر إلى الكوفة قريب بن زفر العبدي والسائب بن الأقرع الثقفي وجعله على الأقباض والغنائم وقسم الفيء وكان كاتبًا حاسبًا، وقد كان ذلك تفاؤلاً من عمر إذ من المفهوم أنه لن تكون هناك أقباض ولا غنائم إلا إذا كان هناك نصر. وقال له عمر: "إلحق بهذا الجيش فكن فيهم. فإن فتح الله عليكم فاقسم ما أفاء الله عليهم بينهم وخذ خمس الله ورسوله. ولا تخدعني ولا ترفع إلى باطلاً(71). وإن نكب القوم فلا تراني ولا أراك فاذهب في سواد الأرض فبطن الأرض خير من ظهرها".

وقدما إلى الكوفة بخطاب من عمر يستعجلهم للخروج، فخرج بهم حذيفة بن اليمان ومعه نعيم بن مقرن المزني حتى قدموا على النعمان في مكان على الطريق بين الأهواز ونهاوند اسمه الطرز على مائة وثلاثين كيلو مترًا غربي نهاوند، جعلوها موضع التقاء ومركز تجمع، فتركوا بمرج القلعة النسير بن ديسم العجلي في قوة من الفرسان لحماية مؤخرة الجيش المتقدم، كذلك كتب عمر إلى قادة حاميات الأهواز الذين كانوا بينها وبين فارس وهم سلمى بن القين وحرملة بن مريطة وزر بن كليب والأسود بن ربيعة، كتب يقول: "إشغلوا فارس عن إخوانكم وحوطوا بذلك أمتكم وأرضكم، وأقيموا على حدود ما بين فارس والأهواز حتى يأتيكم أمري".

([71]) الطبري 127/4 عن سيف.

كذلك بعث مجاشع بن مسعود السلمي إلى الأهواز ليطلع منها إلى ماه في أثر النعمان، فلما كان في غضي شجر أمره النعمان أن يبقى بها شأن الآخرين لتأمين ظهر الجيش الأساسي المتوغل نحو نهاوند. تلك الحاميات جميعًا وقفت على مسالك أصبهان وفارس تحول دون تدفق أي إمدادات جديدة يبعث بها يزدجرد من تلك التخوم إلى نهاوند حتى يتقدم النعمان في طريقه الجبلي إلى نهاوند في أمان.

طليحة الكشاف(72):

لقد اكتسب النعمان في معاركه السابقة مع رسول الله ﷺ ومع أبي بكر رضي الله عنه ومع خالد والمثنى وسعد خبرة وتجربة في الحرب. ولقد أمن الآن أجنابه وظهره ولم يبق إلا ما هو مقدم عليه أمامه. وكان قريب بن ظفر حين قدم عليه بالطرز مع جند الكوفة قد حمل إليه رسالة من عمر جاء فيها: "إن معك حد العرب ورجالهم في الجاهلية فأدخلهم دون ما هو دونهم في العلم بالحرب واستعن بهم واشرئب برأيهم. وسل طليحة وعمرًا وعمرواً ولا تولهم شيئًا".

فبعث النعمان من الطرز طليحة بن خويلد وعمرو بن أبي سلمى العنزي وعمرو بن معدي كرب الزبيدي طليعة ليأتوه بالأخبار كدورية استكشافية وأمرهم ألا يوغلوا. فلما ساروا يومًا إلى الليل رجع عمرو بن أبي سلمى فقالوا له: "ما رجعك"؟ قال: "كنت في أرض العجم وقتلت أرض جاهلها وقتل أرضًا عالمها".

(72) الطبري 127/4.

ومضى طليحة وعمرو بن معدي كرب حتى إذا كان آخر الليل رجع عمرو قالوا: "ما رجعك؟" قال: "سرنا يومًا وليلة ولم نر شيئًا وخفت أن يؤخذ علينا الطريق".

ولم يحفل طليحة برجوع صاحبيه فانطلق وحده حتى انقطعت أخباره وظن به المسلمون ظن السوء، حتى قال بعضهم لعله ارتد مرة أخرى ولحق بالمجوس! ولكن طليحة ظل سائرًا حتى بلغ نهاوند فأطلع على ما أراد ثم عاد، فلما رآه المسلمون كبروا فقال: "ما شأن الناس؟" فأخبروه بظنونهم فأنكرها عليهم ثم دخل على النعمان فأعلمه أن ليس بينه وبين نهاوند أحد من المجوس ولا شيء يكرهه.

تقـدم:

نادى النعمان في جيشه بالرحيل وأمرهم أن يسيروا على تعبئة. وبعث إلى مجاشع بن مسعود من ورائه أن يتحرك من خلفهم مؤخرة لهم. وعلى الرغم مما علمه النعمان عن خلو الطريق من أمامه فقد كان يعلم أنه لم يستكشف أجنابه ولذلك سار على تعبئة جاهزًا للالتحام إذا فاجأه ما ليس في علمه. فكان على مقدمته أخوه نعيم بن مقرن وعلى الميمنة حذيفة بن اليمان وعلى الميسرة أخوه سويد بن مقرن، وعلى الفرسان القعقاع بن عمرو وكانت مؤخرته من خلفه يسوقها مجاشع بن مسعود. وكان في هذا الجيش خيار جند الكوفة والبصرة وأهل المدينة، فيهم عبد الله بن عمر بن الخطاب وجرير بن عبد الله البجلي وجرير بن عبد الله الحميري وسويد بن مقرن ومعقل بن مقرن ونعيم بن مقرن

وربما كافة الأخوة أبناء مقرن، والقعقاع بن عمرو ومجاشع بن مسعود وبشير بن الخصاصية وحنظلة كاتب رسول الله ﷺ وكثيرون غيرهم من وجوه المسلمين وأعلامهم. وانتهوا في مسيرتهم إلى اسبيذهان وقد وقف المجوس أمامهم على تعبئة قبل واي خرد.

أي شيء سوى هذا الدين والجهاد في سبيله أتى بالنعمان وبإخوته الأبرار من وادي القرى حيث مواطن مزينة إلى مدينة الرسول إلى بزاخة بني أسد وبطاح بني تميم ويمامة بني حنيفة إلى الأبلة والمذار والولجة وأليس والحيرة إلى غير ذلك من مواقع العراق حتى القادسية والمدائن وكسكر والأهواز وأخيراً أماكن اسمها اسبيذهان وواي خرد من أرض إيران!؟

جيش العجم:

كان فيرزان -قرين رستم عند الفرس- هو الذي يتولى قيادة جيشهم في نهاوند. وكان على ميمنته زردق وعلى ميسرته ذو الحاجبين وعلى فرسانهم أنوشق وقد حشد المجوس في جيشهم هذا كل من نجا من القادسية والمواقع بعدها وكل من غاب عنها من قوات الثغور وقاداتهم، فهذه حراب المسلمون تهتك قلب فارس وقد جاء النعمان بن مقرن يذكرهم سيرة الإسكندر الأكبر، ولذلك فقد كان جيشهم بالقادسية مائة وعشرين ألف مقاتل ولكن جيشهم في نهاوند بلغ مائة وخمسين ألف مقاتل. فلما صار أمامهم كبر النعمان وكبر المسلمون فاهتزت قلوب فيرزان ومن معه.

نزول وقتال:

أمر النعمان بحط الأثقال فحطت. ثم تسابق أشراف جيش الكوفة في(73) بناء فسطاط النعمان بما يعكس لنا صورة من محبة هؤلاء لقائدهم الطيب الكريم ولقد أقاموه والنعمان واقف، فكان حذيفة بن اليمان وعقبة بن عمرو والمغيرة بن شعبة وبشير بن الخصاصية وحنظلة الكاتب وابن الهوبر وربعي بن عامر وعامر بن مطر وجرير الحميري والأقرع بن عبد الله الحميري وجرير البجلي والأشعث بن قيس الكندي وسعيد بن قيس الهمداني ووائل بن حجر، فلم يكن بناة فسطاط بالعراق كهؤلاء مكانة ولا أسرع إقامة.

وما أن حطت الأثقال وتم نصب الفسطاط حتى أنشب النعمان القتال فاقتتلوا يومين في حرب سجال ثم لم يخرج المجوس من خنادقهم في اليوم الثالث. وقد وصف أحد الرواة(74) ذلك القتال فقال: "فلم أر والله مثل ذلك اليوم. إنهم ليجيئون كأنهم جبال حديد قد تواثقوا أن لا يفروا من الحرب وقد قرن بعضهم بعضًا (كل سبعة في قران)، وألقوا حسك الحديد خلفهم، وقالوا من فر منا عقره حسك الحديد".

---

(73) الطبري 129/4.

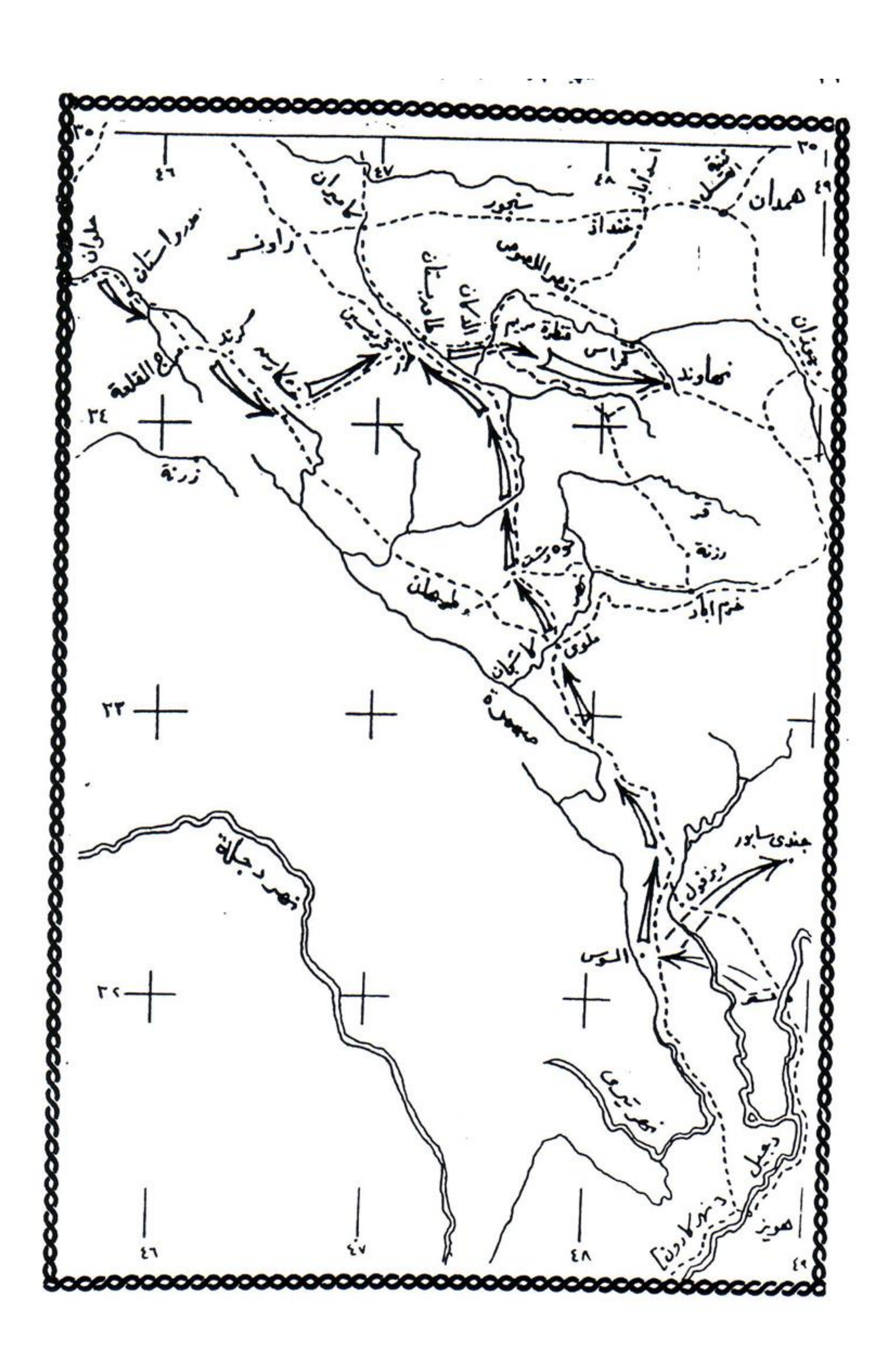
(74) الطبري 119/4 عن زياد بن حدير عن أبيه.

صلح مع الماهين:

كانت نهاوند موقعًا على واد تتصل من خلفها بطريق إلى همذان في شمالها، فرابط المسلمون أمامها. وخرج جيش نهاوند ذات يوم فقاتل المسلمين ثم انهزم فتراجع وتبع سماك بن عبيد العبسي رجلاً منهم معه ثمانية فرسان فبارزهم فما بارز أحدًا منهم إلا قتله حتى أتى عليهم ثم حمل على الذي كان معهم فأسره وأخذ سلاحه. فقال الرجل اذهبوا بي إلى أميركم حتى أصالحه على هذه الأرض وأؤدي إليه الجزية، وسلني أنت عن إسارك ما شئت وقد مننت على إذ لم تقتلني وإنما أنا عبدك الآن، وإن أدخلتني على الملك (يقصد قائده) وأصلحت ما بيني وبينه وجدت لي شكرًا وكنت لي أخًا.

فخلى سبيله وآمنه وقال له من أنت؟ قال أنا دينار (وكان ملك الإقليم في بيت دينار هذا من أسرة قارن). فأتى به حذيفة فحدثه دينار عن نجدة سماك وبطولته، وأعرب عن صلاح نظرته إلى المسلمين ثم صالحه على الخراج فنسبت إليه ماه لذلك وقيل لها "ماه دينار". وظل دينار بعد ذلك يصل سماك ويهدي إليه(75).

(75) الطبري 135/4 – وفتوح البلدان 768.


همدان
سنجور
خنداز
قصر اللصوص
قنطرة مريم
نهاوند
راونسر
حلوان
كرند
زرنة
خرم اباد
السوس
جندي سابور
دزفول
نهر دجلة
الاهواز
٤٦
٤٧
٤٨
٤٩
٣٥
٣٤
٣٣
٣٢

وكتب النعمان وحذيفة كتابًا لأهل الماهين:

"بسم الله الرحمن الرحيم".

1- هذا ما أعطى النعمان بن مقرن أهل ماه بهراذان.

2- أعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وأرضيهم.

3- لا يغيرون عن ملة ولا يحال بينهم وبين شرائعهم.

4- ولهم المنعة ما أدوا الجزية في كل سنة إلى من وليهم، على كل حالم في ماله ونفسه على قدر طاقته.

5- وما أرشدوا ابن السبيل واصلحوا الطرق وقروا جنود المسلمين ممن مر بهم فأوى إليهم يومًا وليلة، ووفوا ونصحوا. فإن غشوا وبدلوا فذمتنا منهم بريئة.

شهد عبد الله بن ذي السهمين والقعقاع بن عمرو وجرير بن عبد الله.

كتب في المحرم سنة تسعة عشر(76)".

وكتب حذيفة بن اليمان كتابًا آخر بنفس هذه البنود شهد عليه القعقاع ابن عمرو ونعيم بن مقرن وسويد بن مقرن.

([76]) الطبري 135/4 عن السري عن شعيب عن سيف عن محمد والمهلب وطلحة.

مؤتمر حربي في نهاوند:

نثر العجم حسك الحديد حول مواقعهم والمسلمون لا يشعرون. وبعث النعمان كشافًا فغرزت حسكة في حافر فرسه فلم يبرح مكانه، ونزل الفارس فنظر في يد الفرس فوجد الحسكة بها فرجع بها وعرضها على النعمان(77) وكانت المبادأة في يد المجوس إن أرادوا الخروج إلى القتال خرجوا وإن لم يريدوا لم يكن للمسلمين معهم حيلة وكان ذلك في أول شتاء عام **640**م وخاف المسلمون من زحف الشتاء عليهم وهم ثلاثون ألفًا في العراء والمجوس مائة وخمسون ألفًا في استحكامات جبلية محصنة.

عقد النعمان مؤتمرًا حربيًا من أصحاب الرأي والنظر في جيشه وقال: "قد ترون المشركين واعتصامهم بالحصون من الخنادق والمدائن، وأنهم لا يخرجون إلا إذا شاءوا ولا يقدر المسلمون على أنغاضهم (إخراجهم) وانبعاثهم قبل مشيئتهم. وقد ترون الذي فيه المسلمون من التضايق بالذي هم فيه وعليه من الخيار عليهم في الخروج. فما الرأي الذي به نحمشهم ونستخرجهم إلى المنابذة وترك التطويل؟".

وبدأ الحديث عمرو بن ثبي وهو أكبرهم فأشار بأن يتحصن المسلمون أيضًا في مواقعهم وأن يطاولوا المجوس فمن خرج منهم من مواقعه قاتلوه. ورد المؤتمرون على عمرو رأيه وقالوا: "أنا على يقين من إنجاز ربنا موعده لنا".

---

(77) الطبري 115/4.

ثم تحدث عمرو بن معدي كرب فكان رأيه مهاجمة العجم في خنادقهم وحصونهم ومرة أخرى يرفض المؤتمرون الفكرة وقالوا: "إنما تناطح بنا الجدران والجدران لهم أعوان علينا".

وكان ثالث المتحدثين طليحة بن خويلد الأسدي فخطأ الرأيين السابقين، ثم عرض خطة مؤداها أن يبعثوا فرسانًا تحتك بالمجوس ويرموهم بالنبل حتى يلتحموا بهم مبارزة بالكر والفر فإذا ما خرجوا التحم بهم كل جيش المسلمين.

استدراج:

من هنا التقط النعمان الخيط ورسم العمل، فتقدم القعقاع بن عمرو بفرسانه نحو استحكامات المجوس وتحرش بهم ورماهم بنبله فانشب القتال بعد أن تمنعوا فترة. فلما خرجوا إليه والتحموا بدأ يتظاهر بالضعف ويتراجع أمامهم في بطء وعلى مراحل لا تنكشف بها الخطة، هذا في حين كان النعمان ينتقل بقواته يتراجع بها أيضًا خلف القعقاع. وأغرى هذا المجوس على إخراج مزيد من قواتهم، فمنذ معركة الجسر لم ينهزم المسلمون أمامهم وهم الآن يتراجعون أمامهم ليس فقط فرسانهم بل وكل معسكرهم.

القعقاع يسحب المجوس:

وفي الخلف عبأ النعمان كتائبه والقعقاع مازال يتراجع نحوه ويسحب في تراجعه جيش المجوس حتى ابتعدوا عن حصنهم. حدث هذا في ذات اليوم الذي عقدوا المؤتمر في صباحه، هذا ولم يكن ظهر اليوم جاء بعد. وأمر النعمان جنده أن يلزموا أماكنهم وألا يقاتلوا حتى يأمرهم. وأمطرهم المجوس بوابل من سهامهم والمسلمون يستترون بتروسهم قد كثرت فيهم الجراح ولا يتحركون امتثالاً لأوامر النعمان. وقالوا للنعمان: "ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما لقى الناس. فما تنتظر بهم؟ ائذن للناس في قتالهم". وهو يقول لهم: "رويدًا رويدًا" فأعادوا عليه القول وما يزيد عن قوله: "رويدًا رويدًا". وتذمر المغيرة بن شعبة فقال: "لم أر كاليوم فشلاً! أن عدونا يتركون يتأهبون ولا يعجلون. أما والله لو أن هذا الأمر إليّ لكنت قد أعجلتهم وعلمت ما أصنع، ولو كنت بمنزلتك باكرتهم القتال".

وكان النعمان رجلاً لينًا تظهر أخلاقه في قوله وفعله، فقال للمغيرة(78) "رويدًا ترى أمرك. وقد كنت تلي الأمر فتحسن، فلا يخذلنا الله ولا إياك. ونحن نرجو في المكث مثل الذي ترجو في الحث، ربما باكرت القتال ثم لم يسود الله وجهك،

([78]) الطبري 115/4، 131.

فالله عز وجل يشهدك أمثالها فلا يحزنك ولا يعيبك موقفك. إنه والله ما منعني من أن أناجزهم إلا شيء شهدته من رسول الله ﷺ أن رسول الله كان إذا غزا فلم يقاتل أول النهار لم يعجل حتى تحضر الصلاة (الظهر) وتهب الأرواح ويطيب القتال، فما منعني إلا ذلك"(79). وانتظر النعمان حتى مالت الشمس عن وسط السماء فقال: "نصلي إن شاء الله ثم نلقي عدونا دبر الصلاة". فصلى جيش المسلمين ومازال القعقاع وفرسانه يقاتلون.

توجيهات النعمان(80):

كان النعمان يتحرك في نشاط وحماس ظاهر وهو يطوف بصفوف المسلمين على حصان أحمر يخالطه سواد كلون صدأ الحديد قصير القوائم قريب من الأرض وكان يقف على الرايات، راية راية، فيحمد الله ويثنى عليه ويقول: "قد علمتم ما أعزكم الله به من هذا الدين وما وعدكم من الظهور.

وقد أنجز لكم بَوَادي ما وعدكم وصدوره، وإنما بقيت أعجازه وأكارعه. والله منجز وعده ومتبع آخر ذلك أوله.

(79) حديث عن ابن عمرو ويقال أبو حكيم النعمان بن مقرن رضي الله عنه قال: شهدت رسول الله ﷺ إذا لم يقاتل من أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر.. رواه أبو داود والترمذي وقالا حديث حسن صحيح.

(80) الطبري 131/4.

واذكروا ما مضى إذ كنتم أذلة وما استقبلتم من هذا الأمر وأنتم أعزة. فأنتم اليوم عباد الله حقًا وأولياؤه.

وقد علمتم انقطاعكم من إخوانكم من أهل الكوفة والذي لهم في ظفركم وعزمكم، والذي عليهم في هزيمتكم وذلكم. وقد ترون ما أنتم بإزائه من عدوكم وما أخطرتم وما أخطروا لكم.

فأما ما أخطروا (راهنوا) لكم فهذه الرثة وما ترون من هذا السواد.

وأما ما أخطرتم لهم فدينكم وبيضتكم.

ولا سواء ما أخطرتم وما أخطروا.

فلا يكونن على دنياهم أحمى منكم على دينكم.

وأتقى الله عبد صدق الله وأبلى نفسه فأحسن البلاء.

فإنكم بين خيرين، منتظرين إحدى الحسنيين، من بين شهيد حي مرزوق أو فتح قريب وظفر يسير.

فكفى كل رجل ما يليه ولم يكل قرنه إلى أخيه فيجتمع عليه قرنه وقرن نفسه وذلك من الملأمة، وقد يقاتل الكلب عن صاحبه، فكل رجل منكم مسلط على ما يليه. فإذا قضيت أمري فاستعدوا فإني مكبر ثلاثًا.

فإذا كبرت التكبيرة الأولى فشد رجل شِسْعه (رباط خفه) وأصلح من شأنه وليتهيأ من لم يكن تهيأ.

فإذا كبرت الثانية فشد رجل إزاره وليشد عليه سلاحه وليتأهب للنهوض ويتهيأ لوجه حملته.

فإذا كبرت الثالثة فإني حامل إن شاء الله، فاحملوا معًا.

"اللهم أني أسألك أن تقر عيني اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام، وذل يذل به الكفار، ثم اقبضني إليك بعد ذلك على الشهادة، واجعل النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك. أمِنوا يرحمكم الله".

فأمن المسلمون وبكوا(81).

شهيد نهاوند:

وقف النعمان في موضعه من قلب جيشه. ثم أطلق التكبيرة الأولى ثم الثانية ثم الثالثة. ومع التكبيرة الثالثة اندفع نحو صفوف المجوس وكانوا قد ربطوا أنفسهم بالسلاسل حتى لا يفروا. كان النعمان يحمل الراية وقد رآها المسلمون تنقض نحو المجوس انقضاض العقاب. وكان ﵁ مميزًا بقباء أبيض(82) وقلنسوة بيضاء. فحملوا جميعًا حملة رجل واحد.

([81]) الطبري 131/4.

([82]) الطبري 132/4.

يقول جبير الراوية: "فوالله ما علمت من المسلمين أحدًا يومئذ يريد أن يرجع إلى أهله حتى يقتل أو يظفر.

فحملنا حملة واحدة وثبتوا لنا فما كنا نسمع إلا وقع الحديد على الحديد حتى أصيب المسلمون بمصائب عظيمة. فلما رأوا صبرنا وأنا لا نبرح العرصة انهزموا فجعل يقع الواحد فيقع عليه سبعة بعضهم على بعض في قياد فيقتلون جميعًا. وجعلوا يعقرهم حسك الحديد الذي وضعوه خلفهم".

ولم يسمع السامعون بوقعة يوم قط كانت أشد منها. واستمر القتال حتى حلول الظلام وكثر القتلى من المجوس حتى غطوا ميدان المعركة وكان الناس والخيول ينزلقون فيه من دمائهم. وزلق فرس النعمان فلقي النعمان مصرعه. ويذهب ابن اسحق وجبير أبو زياد إلى أنه رمى بنشابة أصابت خاصرته فقتلته.

كان نعيم بن مقرن هو قائد المقدمة، وكانت المقدمة عند الالتحام تدخل مع القلب، فكان نعيم بحكم وضعه قريبًا من أخيه النعمان فرأى ما كان. وأقبل نعيم فحمل الراية من يد النعمان قبل أن تقع على الأرض، وسجى النعمان الشهيد بثوب ثم أتى حذيفة بن اليمان في الميمنة باعتباره خليفة أخيه النعمان فسلمه الراية.

حمل حذيفة الراية وترك قيادة الميمنة لنعيم بن مقرن واتجه هو إلى القلب فأقام اللواء. وقال له المغيرة بن شعبة وقد كان يعلم مكانة النعمان عند جنده: "اكتموا مصاب أميركم حتى ننظر ما يصنع الله فينا وفيهم لكيلا يهن الناس".

وازداد الليل ظلامًا وكان المسلمون أصبر على القتال فانكشف العجم وتراجعوا واستمر المسلمون يضغطون عليهم فالتبس عليهم طريقهم فوقعوا في اللِّهْب، ولعله كان خندقًا عميقًا، كلما وقع فيه منهم أحد صاح بالفارسية، وايهْ خرد، وبذلك سمي المكان إلى قرون بعدها فقتل منهم فيه أكثر من مائة ألف سوى من قتل في القتال. وذكر بعض الرواة أنه قتل في اللهب ثمانون ألفًا وفي المعركة ثلاثون ألفًا مقترنون في السلاسل سوى من قتل في المطاردة(83).

أين أميرنا؟

انتهت المعركة وتلفت المسلمون ثم راحوا يتساءلون: "أين أميرنا؟"

قال معقل بن مقرن المزني: "هذا أميركم قد أقر الله عينه بالفتح وختم له بالشهادة".

فبايع الناس حذيفة بينما عمر بالمدينة يستنصر الله لهم ويدعو "مثل الحبلي"!(84).

يقول معقل بن يسار: "فأتيت النعمان وبه رمق فغسلت وجهه من أداوة ماء كانت معي. فقال من أنت؟".

قلت: معقل.

قال: ما صنع المسلمون؟

([83]) الطبري 136/4 عن السري عن شعيب عن سيف عن عمرو بن محمد عن الشعبي.

([84]) فتوح البلدان 760.

قلت: أبشر بفتح الله ونصره.

قال: الحمد لله، اكتبوا إلى عمر.

وتحت ثرى نهاوند رقد النعمان. وقبره هناك بموضع يقال له أسفيذبان(85).

وأفلت فيرزان ومن شرد منهم. وإزاء كثرة قتلاهم رأوا أنهم لن يحتفظوا بنهاوند فهربوا إلى همذان شمالي نهاوند بحوالي مائة كيلو متر.

مطاردة:

وعاد نعيم بن مقرن المزني يقود المقدمة في مطاردة من فر من المجوس وخرج معه القعقاع بن عمرو بفرسانه فجعله نعيم أمامه. وأدرك القعقاع فيرزان عندما بدأ طريق همدان يصعد في الجبل. وتصادف مرور قافلة من البغال والحمير المحملة بالعسل فعاقت هرمزان فنزل عن جواده وصعد يجري بين صخور الجبل، ونزل القعقاع أيضًا عن جواده وأدركه فقتله، وغنم المسلمون القافلة. ولم يجد خسرو شنوم حاكم همذان من يدافع به عن المدينة سوى الفلول المنهزمة فاستسلم للمسلمين على شرط الأمان، فنزلها نعيم بن مقرن والقعقاع بن عمرو في قواتهما.

---

(85) قادة فتح فارس 105.

عمر يبكي النعمان:

غنم المسلمون كل ما حوت نهاوند وكل ما كان حولها وكان فيها كنز لكسرى من الجواهر كان يعده لنوائب الزمن. وكان نصيب الفارس من تلك الغنائم ستة آلاف درهم، وسلم حذيفة الأنفال إلى السائب بن الأقرع فخرج بها إلى عمر.

ولما قدم السائب إلى المدينة قال له عمر: "ما وراءك؟".

قال: البشرى والفتح.

قال: ما فعل النعمان؟

قال: زلق فرسه في دماء القوم فصرع فاستشهد رحمه الله.

يقول السائب: فقال عمر: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم بكى فنشج حتى أني لأنظر إلى فروع منكبيه من فوق كتده. قال: ومن ويحك؟

يقول السائب: فلما رأيت ما لقي، قلت: والله يا أمير المؤمنين ما أصيب بعده من رجل يعرف وجهه!!!

فقال عمر وهو يبكي: المستضعفون من المسلمين؟ لا يضرهم ألا يعرفهم عمر، ولكن الذي أكرمهم بالشهادة يعرف وجوههم وأنسابهم. وما يصنعون بمعرفة عمر بن أم عمر؟!

ثم صعد عمر المنبر فنعى إلى المسلمين النعمان. قال إياس(86) بن معاوية: قال لي سعيد بن المسيب: ممن أنت؟ قلت رجل من مزينة، فقال سعيد: إني لأذكر يوم نعى عمر بن الخطاب النعمان بن مقرن على المنبر(87) ووضع يده على رأسه وبكى.

وكان أبو لؤلوة مولى المغيرة بن شعبة من أهل نهاوند وكان الروم أسروه في حربهم مع فارس، ثم أسره المسلمون من الروم فكان في المدينة حين قدم إليها سبي نهاوند، فكان لا يلقى منهم صغيراً إلا مسح رأسه وبكى وقال: "أكل عمر كبدي"(88) أبو لؤلوة هذا هو الذي اغتال عمر بن الخطاب بعد ذلك عام 23هـ.

الانسياح في أرض المجوس:

كانت معركة نهاوند أول موقعة بعد قرار عمر بمتابعة الفتوح في الشرق حتى يتم القضاء على يزدجرد وتصفية الكسروية. وقد تم تقسيم الفتوح بين قاعدة البصرة وقاعدة الكوفة مع تنسيق التعاون بينما. وعقد عمر الألوية لهذه البعوث على النحو الآتي:

---

(86) الطبقات الكبرى 11/6.

(87) أسد الغابة 5261.

(88) الطبري 136/4 عن السري عن شعيب عن سيف عن عمرو بن محمد عن الشعبي.

من البصرة:

1- لواء خراسان إلى الأحنف بن قيس التميمي.

2- لواء أردشير خرة إلى مجاشع بن مسعود السلمي.

3- لواء اصطخر إلى عثمان بن أبي العاص الثقفي.

4- لواء كرمان إلى سهيل بن عدي.

5- لواء فساودرابجرد إلى سارية بن زنيم الكناني.

6- لواء سجستان إلى عاصم بن عمرو التميمي.

7- لواء مكران إلى الحكم بن عمير.

من الكوفة:

8- لواء أذربيجان إلى بكير بن عبد الله وعتبة بن فرقد.

9- لواء الباب "على الساحل الغربي لبحر قزوين" إلى عمر بن سراقة.

10- لواء أصفهان إلى عبد الله بن عبد الله بن عتبان.

وألوية أخرى من الكوفة لمعاونة ألوية البصرة فيما وكل إليها.

هذا هو ما عبر عنه الرواة والمؤرخون بـ "الانسياح". ولسنا هنا بصدد دراسة عن حركة الفتوح، فقد خصصنا لذلك المبحث الأم "الطريق إلى المدائن"، و "القادسية" و "سقوط المدائن ونهاية" الدولة الساسانية وإنما الذي يهمنا في موضوعنا هو تتبع الإخوة الأبرار بعد أخيهم الشهيد النعمان.

فبعد أن استسلمت همذان لنعيم بن مقرن وصالحت ودخلت في ذمة المسلمين عادت فانتقضت. فأرسل إليهم عمر لواء تعداده اثني عشر ألفًا من أهل الكوفة عليه نعيم بن مقرن المزني مرة أخرى. وأخضع نعيم همذان وهزم جمعًا كبيراً من الفرس، فأمر عمر أن يسير من همذان إلى الري على السفوح الجنوبية للجبال الممتدة جنوبي بحر قزوين بحذاء ساحله.

وخرج نعيم في جيشه إلى واج روذ بأرض همذان حيث هزم حشدًا للمجوس ومنها سار إلى دستبي ثم إلى الري وقد جمع له العجم جمعًا جعلوا قيادته إلى زنبدي. ولكن زنبدي وقد رأى انتصار المسلمين واستطراد ظفرهم آثر السلامة فلقي نعيم مسالمًا في قها ومخالفًا بذلك أوامر ملك الري سياوخش بن مهران.

وجمع سياوخش جموعًا من دنباوند وطبرستان جنوبي بحر قزوين ومن قومس ومن جرجان، والتقى نعيم بهذه الحشود على سفوح جبل الري فهزمهم وسقطت الري في يده. وكتب نعيم بالفتح إلى عمر. حينذاك كان بكير بن عبد الله يسير من حلوان إلى شرق أذربيجان وكان عتبة بن فرقد يسير من الموصل إلى غرب أذربيجان.

فكتب عمر إلى نعيم بن مقرن أن يبعث إلى أذربيجان مددًا لبكير يقوده سماك بن خرشة. ولما بلغ بكير جرميذان في طريقه إلى أذربيجان التقى باسفندياذ بن فرخزاد وكان نعيم قد هزمه في واج روذ وهو في طريقه إلى الري، فالتحم به بكير وهزمه مرة أخرى وأسره ثم تقدم إلى ما حدد له من أذربيجان فافتتحها.

وعاد عمر يكتب إلى نعيم أن يبعث أخاه سويد بن مقرن على تعبئة من الري إلى قومس. وسار سويد فلم يعترضه أحد فاستولى عليها بدون قتال. ثم سار منها إلى جرجان فصالحه أهلها عام 22هـ على ما نختاره ونذهب إليه وهناك رواية بأن ذلك كان عام 18هـ ورواية أخرى بأنه كان عام 30هـ. ثم كتب صاحب طبرستان وجيلان إلى سويد يطلب صلحه والدخول في ذمته فصالحه سويد(89).

بقية من أخبارهم:

عقيل:

نزل الكوفة وكان يكنى أبا حكيم(90). كما كان له ابن يدعى عبد الرحمن وقد كان من الصحابة(91).

([89]) تفاصيل تلك الفتوح عرضنا لها في كتابنا سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية.

([90]) الطبقات الكبرى 11/6.

([91]) الإصابة 5169.

معقل:

سكن الكوفة وروى عن النبي ﷺ. وكان يكنى أبا عمرة، كما وأنه كان أبا عبد الله بن معقل. وقد جاء في الإصابة عبد الله بن مغفل بن مقرن المزني، ونحسبه خطأ وصوابه عبد الله بن معقل فلم يكن بين الإخوة المزنيين من كان يسمى مغفل. وقد كانت له ذرية بالكوفة بعد ذلك.

وقد ذكر ابن حزم(92) أنه كان لمعقل عبد الله وعبد الرحمن وكانا محدّثين، وأن عبد الله بن الوليد بن عبد الله بن معقل كان محدثًا أيضًا.

مرضي:

جاء بالآثار أن سراقة بن عمرو كتب عهدًا لأهل الباب شهد فيه عبد الرحمن بن ربيعة وبكير بن عبد الله وأن الذي كتب الكتاب كان مرضي بن مقرن. ولا نحسبه كان في جيش فتح الباب من بادئ الأمر وأغلب ظننا أنه كان مع بعض الأمداد التي بعث بها أخوه نعيم بن مقرن من الري إلى آذربيجان.

([92]) جمهرة أنساب العرب 202.

سويد:

توفي سويد بن مقرن بالكوفة ويذهب ابن حزم إلى أنه استشهد في نهاوند(93) مع النعمان. وذكر ابن سعد(94) أنه كان يكنى أبا عدي غير أن ابن الأثير وابن حجر وأبا عمر لم يذكروا عديًا فيما أوردوا من تراجم. وقد روى الحديث عن سويد ابنه معاوية ومولاه أبو شعبة وهلال بن يساف وأخرج حديثه مسلم وأصحاب السنن. وفي النسائي والضياء عن سويد بن مقرن أن رسول الله ﷺ قال: "من قتل دون مظلمته فهو شهيد". وقد ذكر بعضهم معاوية بن سويد في الصحابة(95).

وروى عن معاوية بن سويد أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من قال لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما"، ولكن معاوية مشهور في التابعين، وحديثه عن أبيه وعن البراء بن عازب في صحيح مسلم وغيره"(96).

([93]) جمهرة أنساب العرب 202.

([94]) الطبقات الكبرى 11/6.

([95]) أسد الغابة 4976.

([96]) وحديث من قال لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما، أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

النعمان:

إذا أردنا أن نتخيل صورة لبطلنا النعمان لكان علينا أن نتصوره أسمر البشرة جسيمًا قويًا ذا مهابة لا يقل عن الأربعين من عمره يوم نهاوند إن لم يكن أكثر بغير حدود تعيننا على تحديده، شجاعًا متواضعًا غالبًا طيبًا لينًا ذا عقل وفكر ورأي وبصر بالأمور محبًا لإخوانه في الجهاد(97).

ولقد كان النعمان يكنى أبا عمرو ولا ندري أن كان للنعمان ولد غير عمرو إذ لم نوفق في العثور على ما يقطع لنا بهذا، وفي بعض الروايات يقال عن النعمان أبو حكيم(98)، ولم نعثر فيما رجعنا إليه على أي ذكر لحكيم بن النعمان، ولكن يبدو أنه كان هناك حكيم بن عقيل بن مقرن. كذلك لم نعثر على ما يلقي لنا الضوء على أي معلومات عن زوجه أو زوجاته إن كان له. وعمرو بن النعمان كان من الصحابة ولو أن بعضهم يشك في ذلك ويرى أن حديثه عن الرسول ﷺ كان مرسلاً(99). ولقد روى النعمان عن النبي ﷺ ستة أحاديث(100).

([97]) الإصابة 1071.

([98]) رياض الصالحين 485 عن أبي داود والترمذي.

([99]) الحديث المرسل هو ما سقط من سنده الصحابي.

([100]) قادة فتح فارس 106 عن أسماء الصحابة الرواة لابن حزم.

ومن حديث عمرو بن النعمان: انتهى رسول الله ﷺ إلى مجلس من مجالس الأنصار، وكان رجل من الأنصار يعرف بالبذاء ومسابة الناس، فقال رسول الله ﷺ: "سباب المسلم فسوق وقتاله كفر"(101) قال الرجل: والله لا أسابّ رجلاً أبدًا. وما دام عمرو قد روى هذا الحديث فإنه يدلنا بلا ريب على شيء من أدب عمرو وتستطيع أن نذهب إلى أنه ما كان يسب أحدًا أو يقاتل مسلمًا. كذلك نلحظ أنه رضي الله عنه حين يحيط حديث الرسول بمناسبته فقد أسقط ذكر الأنصاري باسمه سترًا له عما يسئ إليه وحتى لا يشهر به، وهو أدب جميل لا غرابة أن يكون قد اكتسبه من صفات أبيه العظيم.

وقد أخرج ابن أبي شيبة من طريق معاوية بن قرة قال: كنت نازلاً على عمرو بن مقرن، فلما حضر رمضان أتاه رجل بكيس دراهم فقال: إن الأمير مصعب بن الزبير يقرئك السلام ويقول: لم يدع قارئًا إلا وقد وصل إليه منا معروف فاستعن بهذا، فقال: "قل له والله ما قرأنا القرآن نريد به الدنيا. وردّه عليه"، وهذه مناسبة أخرى تلقي مزيدًا من الضوء على صفات هذا الرجل الكريم، فقد كان حافظًا للقرآن لا يبتغي به إلا وجه الله، ثم كان كريمًا مضيافًا.

---

(101) حديث سباب المسلم فسوق وقتاله كفر أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود.

ولقد روى عمر بن النعمان عن رسول الله ﷺ أنه قال: "إن الله تعالى ليؤيد الدين بالرجل الفاجر"(102). وعنه أن رسول الله ﷺ قال: "لا يحل لرجل أن يروع مسلمًا"(103).

وبعد:

لقد لقي النعمان ربه شهيدًا في سبيله، وللشهيد عند الله فضائل كثيرة كبيرة ذكرها الله ورسوله. من ذلك ما رواه الترمذي وابن ماجه عن المقدام بن معدي كرب قال: قال رسول الله ﷺ: "للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه"(104).

([102]) الكنز الثمين 721 عن المعجم الكبير للطبراني.

([103]) الكنز الثمين 4444 عن المعجم الكبير للطبراني.

([104]) القرطبي – تفسير آل عمران 171.

وقال تعالى في سورة آل عمران: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ

أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ

بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞

يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ

ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟

أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ

فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾[آل عمران:169-173]. وقال:﴿

إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ

يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ

وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى

بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾[التوبة: 111].

رحم الله النعمان ورضي عنه وألحقنا به مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

المراجع

القرآن الكريم:

الجامع لأحكام القرآن	القرطبي
تفسير القرآن العظيم	ابن كثير
الطريق إلى المدائن	أحمد عادل كمال
القادسية	أحمد عادل كمال
سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية	أحمد عادل كمال
تاريخ الأمم والملوك	الطبري
فتوح البلدان	البلاذري
أيام العرب في الجاهلية	محمد أحمد جاد المولى، على البجاوي محمد أبو الفضل
إيران في عهد الساسانيين	آرثر كريستنسن
إمتاع الأسماع	المقريزي
الكامل في التاريخ	ابن الأثير
أسد الغابة	ابن الأثير

الإصابة	ابن حجر العسقلاني
الاستيعاب	يوسف بن عبد البر القرطبي
سير أعلام النبلاء	الذهبي
الطبقات الكبرى	ابن سعد
المسالك والممالك	الاصطخري
المسالك والممالك	ابن خرداذبه
الخراج وصنعه الكتابة	قدامة بن جعفر
معجم البلدان	ياقوت الحموي
الجامع الصحيح	البخاري
الكنز الثمين	
المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية	ابن حجر
رياض الصالحين	النووي
جمهرة أنساب العرب	ابن حزم

بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب	محمود شكري الألوسي
معجم القبائل العربية القديمة والحديثة	عمر رضا كحالة
محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية	محمد الخضري
الرسول القائد	محمود شيت خطاب
قادة فتح فارس	محمود شيت خطاب
الرسول العربي وفن الحرب	مصطفى طلاس
خريطة العراق الأثرية	مديرية الآثار العراقية ببغداد
خريطة قضاء النجف	مديرية الآثار العراقية ببغداد
خريطة الشرق الأوسط	جون بارثلميو وولده ليمتد- أدنبرج

الفهرس

محتويات الكتاب

ردة بني أسد
حركات الردة الأخرى
مع فتح العراق- استراتيجية أبي بكر
جيش الفتح
معركة كاظمة
معركة المذار
حماية المؤخرة
معركة الولجة
نهر الدم
الطريق إلى الحيرة
سقوط الحيرة
إنجاز أعمال عياض
بقاء بالعراق